الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية والعلوم الإسلامية
الشعبة: تاريخ.
الرقم التسلسلي

القسم: العلوم الانسانية
التخصص: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء
الرمز:

مناجم الملح في الصحراء ودورها في ازدهار تجارة الحواضر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالبتين:

- حليمة بن علي
- صفية عبداوي

تحت إشراف:

✍- أ.د: محمد الصالح حوتية

لجنة المناقشة:

الرقم	اسم الاستاذ	الرتبة	الصفة
01	د/ بعثمان عبد الرحمان	أستاذ محاضر (أ)	رئيساً
02	أ.د/ محمد الصالح حوتية	استاذ التعليم العالي	مشرف ومقررا
03	د/عبد الله بابا	استاذ محاضر (ب)	مناقشاً

الموسم الجامعي:1440-1441هـ/2019-2020م

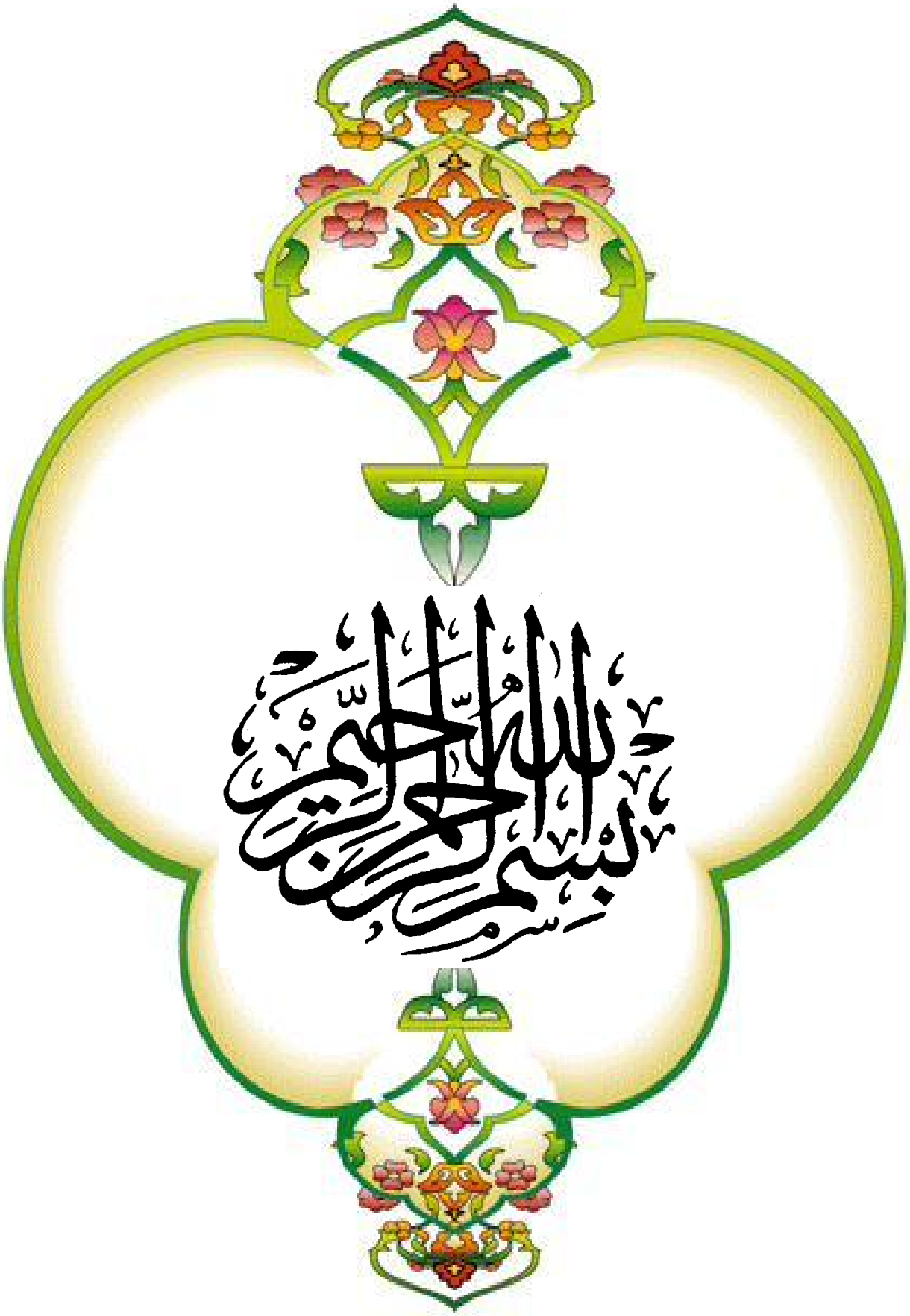
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هاته خالصة لله ثم إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى من كان دعاءها سر نجاحي

إلى أغلى الحبايب أمي "فاطنة"

إلى من تجرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

إلى من كلت أنامله ليمنحنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير أبي الغالي "سالم"

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس العفيفة البريئة، إلى رياحين حياتي، إلى إخواني وأخواتي

إلى كل العائلة الكريمة حفظها الله من كل شر

إلى الذين أحببتهم وأحبوني أصدقائي من بعيد أو من قريب

إلى من شاركتني إنجاز هذا العمل "صفية"

وإلى من سيشاركني حياتي "إبراهيم"

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إلى كل الأصدقاء والأحباب

إلى كللا من ساندني وشجعني ونصحني بالصبر في مشوار هذه المذكرة

إلى كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

إهـــداء

بسم الله وكفى، والصلاة على المصطفى:

ما أجمل أن نتذوق حلاوة النجاح ،ونتقاسمها مع من نحبهم ونحترمهم. .

أهدي ثمرة جهدي إلى :

ريحانة الدنيا ومنبع الحنان، إلى التي بالحب سقتني وبالطيبة غمرتني. .،إلى التي لست أنساها ولا تحلو الحياة إلا بلقائها ،أمي. .ثم أمي. .ثم أمي. .

إلى ربيع صدري ورفيق عمري وضياء دربي وشعلة حبي، إللى الذي رباني فأحسن تربيتي علمني قيمة الحياة وفوق كل هذا وداك قيمة نفسي، أبي الغالي. . .

إلى من شاركوني ظلمة الرحم ومتعة الحياة ،شقائق الروح وسندها إخوتي وأخواتي(فاطيمة وابنها ،عبد القادر ،إبراهيم ،عبد الكريم ،كلثوم وابنها) . .

إلى الأعمام وأبنائهم والاخوال وأبنائهم. . .

إلى من رافقتني طيلة إنجاز هذا البحث وتذوقت معي حلوه ومره ،وكانت خير معين "حليمة". . .

إلى من ربطتني بهم المحبة في الله من غير مصالح تربطنا بهم ولا أرحام تصلنا، . .

إلى كل أصدقائي وصديقاتي في كل مكان ، . . إلى كل من ذكرهم قلبي ولم يذكرهم قلمي، . .

إلى من سيشاركني حياتي "سليمان". . .

شكر وعرفان

نحمد المولى عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل ونشكره على فضله وعطائه،

وان ينفع به كل طالب علم.

كما نتقدم بجزيل الشكر والثناء إلى الأستاذ المشرف الدكتور "حوتية محمد الصالح"

الذي لم يبخل علينا بتوجهاته ونصائحه طوال هذا المشوار لانجاز هذا العمل المتواضع،

كما نتقدم بالشكر والتحية للدكتور بابا عبد الله الذي زودنا بكل ما احتجناه؛ فله منا كل التقدير والإحترام.

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة العلوم الإنسانية،

الذين أنارو مشوارنا الجامعي،

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد .

مقدمة

مقدمة:

عرفت الحركة التجارية نشاطا واسعا بين الشعوب منذ القدم الأمر الذي جعل كل من المؤرخين والمتابعين للعلاقات التجارية بين الدول،البحث عن حيثيات هذه العلاقة والدور الذي لعبته التجارة الصحراوية بين الجنوب والشمال الإفريقي خاصة،وإذا ما تتبعنا مسار الحركة التجارية بين بلدان السودان الغربي والبلدان المغاربية تبدو أنها علاقات متينة يرجع تاريخها الى فترة مبكرة بفضل عدة عوامل ساهمت في توسيع نطاق هذه التجارة وازدهارها بشكل كبير عبر عدة مسالك وطرق كانت ترتبط بأقاليم شمال وجنوب الإفريقيين وكان للقوافل التجارية دورا فعالا من خلال رحلاتها ونزولها لعدة محطات،وما تحمله من مواد ثمينة ونفيسة كالملح والتي هي موضوع الدراسة.

إشكالية البحث:

وللإلمام بجوانب الموضوع والتعرف أكثر على أهم مناجم الملح بالصحراء وبالخصوص ببلاد السودان الغربي قمنا بطرح الإشكالية التالية: فيما تتجلى أهمية الملح الصحراوية، ودورها البالغ في نماء الحواضر؟

ومن خلال هذه الإشكالية قمنا بطرح التساؤلات الفرعية:

- هل يوجد ببلاد السودان الغربي مراكز تجارية؟ وما أهم مدنه؟
- إلى ماذا يعود الأصل العلمي واللغوي للملح ؟
- ما هي أهم المصادر المحلية للملح بالسودان الغربي ؟
- كيف ساهمت الممالك المغاربية والسودانية في السيطرة على مناجم الملح؟

دوافع اختيار موضوع البحث:

لقد تعددت الأسباب والدوافع في اختبارنا لهذا الموضوع فمنها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي

الدوافع الذاتية:

-الرغبة الشخصية لدراسة موضوع الملح ومدى دورها وأهميتها ومساهمتها في ازدهار الحواضر، ومعرفة أهم الطرق والمسالك والمحطات التي كانت تسلكها

-معرفة أهم المصادر المحلية أو المناجم التي كانت تستخرج منها؟

-اثراء الرصيد المعرفي وأخذ نظرة عن الموضوع.

- -أخد نظرة عن بلاد السودان الغربي وأهم المدن المغاربية وعلاقتها ببلاد السودان.

الدوافع الموضوعية:

-أهمية وحداثة الموضوع

-قلة الأبحاث والدراسات التي تشمل الموضوع على عكس الدراسات الأخرى

-الرغبة الكبيرة في معرفة مدى سيطرة الممالك السودانية عليها

صعوبات الدراسة:

لقد واجهتنا عدة صعوبات هي:

-صعوبة معالجة هذا الموضوع

-قلة المصادر والمراجع المهتمة بهذا الموضوع إن لم نقل انعدامها وان وجدت فإنها لا تعطي مجالا واسعا للحديث في الموضوع

-قلة المعلومات عن موضوع الملح.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراستنا لهذا الموضوع لعدة اعتبارات منها:

-ابراز أهمية الملح في العملية التجارية

-تبيان مدى مكانة الملح الذي يعد واحد من المواد الرئيسية التي ساهمت في بلورة أو تشكيل حكمة الشعوب وموروثاتها التاريخية

-كونها مادة أساسية يحتاج إليها الإنسان والحيوان معا بل حتى النبات.

الدراسات السابقة:

أولاً: رسالة دكتوراه: في التاريخ من طرف الطالب بودواية مبخوت، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، بعنوان العلاقات القفافية والتجارية بين المغرب الاوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان حيث قسمت إلى ثلاث فصول ركز في الفصل الثاني على الممالك السودانية منها مملكة سنغاي والتي كانت لها علاقة بالسيطرة على مناجم الملح وهذا ما تناولناه في بحثنا.

ثانياً: مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي بعنوان المعادن في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط حيث قسمت إلى فصلين ركز في الفصل الأول عن جغرافية توزيع المعادن في بلاد المغرب

الإسلامي وخص مبحث خاص عن معدن الملح الذي هو موضوع دراستنا، تحدث فيه عن تعريف الملح وجغرافية توزيعه، ولم يتحدث عن مناجم الملح وأنواعها.

المنهج المتبع:

اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي على اعتبار أن الموضوع تاريخي وذلك من خلال وصف بلاد السودان وتتبع الوقائع والأحداث التاريخية.

خطة البحث:

يحتوي البحث على ثلاثة فصول بداية بمقدمة –وخاتمة، ملاحق قائمة المصادر والمراجع، فقد تطرقنا في الفصل الأول :جاء بعنوان الإطار الجغرافي والمدن التجارية بالسودان الغربي ضم ثلاث مباحث ،المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية والإطار الجغرافي للسودان الغربي العنصر الأول منه:مفهوم بلاد السودان الغربي وموقعه الجغرافي والفلكي والتضاريس والمناخ اما المبحث الثاني فهو: المدن التجارية بالسودان الغربي يضم كل من جني –ولاتة- جاو-تمبكتو أما المبحث الثالث: المدن المغاربية التجارية وعلاقتها ببلاد السودان الغربي إحتوى ثلاث مباحث، المبحث الاول:المدن والمراكز التجارية المغاربية أما المبحث الثاني:القوافل التجارية والمسالك الصحراوية أما المبحث الثالث :أهم السلع المتبادلة الملح- الذهب- العبيد- التمر.

-أما الفصل الثاني: فكان بعنوان مناجم الملح الصحراوية بل قسمناه الى ثلاث مباحث،المبحث الأول منه : الملح دراسة مفاهيمية وتاريخية اما المبحث الثاني : أهم الملحات تاودني –تغازة- أوليل، أما المبحث الثالث : أهمية الملح في العملية التجارية.

أما الفصل الثالث: فقد تضمن مناجم الملح وخطط الممالك في السيطرة عليها وبدوره ينقسم الى مبحثين، المبحث: الممالك السودانية وعلاقتها بمناجم الملح مملكة غانا-مالي- صنغاي،اما المبحث الثاني:محاولة الدول المغاربية السيطرة على مناجم الملح .

المصادر والمراجع المعتمد عليها:

وحتى تتضح الصورة الكاملة عن بحثنا وعن أهمية المصادر كان لابد من الإشارة إلى ماعتمدنا عليه منها، وقد تمثلت في مؤلفات حسن الوزان الذي أفرضناها بمبحث خاص من هذه الدراسة، لكن لابأس أن نشير إلى كتاب:البكري أبو عبيد "المغرب في ذكر بلاد إفريقيا" الذي يعد أهم مصدر.

الفصل الأول: الإطار الجغرافي والمدن التجارية بالسودان الغربي

المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية والإطار الجغرافي للسودان الغربي

المبحث الثاني: المدن التجارية بالسودان الغربي

المبحث الثالث: المدن المغاربية التجارية وعلاقتها ببلاد السودان الغربي

لو تطلعنا لتاريخ كل من دول بلاد السودان الغربي والمدن المغاربية في مجال العلاقات لوجدناه بأنه تاريخ ثري ويستحق الدراسة من طرف الباحثين، بحيث أن هذه العلاقة لم تقتصر على مجال واحد، حيث شملت المجال التعليمي والديني والتجاري مما ساهم في إثراء وازدهار الأقاليم الصحراوية بالرغم من المجال الجغرافي لكل دول الشمال والجنوب، وقد نال النشاط التجاري الاهتمام الأكبر نظراً لتنوع المنتوجات ووجود مراكز متعددة ومهمة للإفريقيين، وسنركز في هذا الفصل أولاً على الإحاطة الجغرافية لبلاد السودان الغربي في دراسة أهم التضاريس والمناخ المتواجدة به كما سنركز أيضاً على أهم المدن والمراكز التي كانت تلعب دوراً فعالاً في المنطقة من خلال الربط بين المنطقتين الجنوبية والشمالية.

المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية والإطار الجغرافي للسودان الغربي

1- مفهوم بلاد السودان الغربي أو التكرور أو إفريقيا الغربية

1/ المفهوم اللغوي:

السودان: جمع أسود، وتعني كل السود وذوي البشرة الداكنة في العالم القديم، التي كانت معروفة عندهم.

كما جاء مؤرخين وجغرافيين ورحالة تناولوا المصطلح ليعني أقاليم معينة، واستعبدوا سودان بلاد الهند والزنج وغيرهم[1].

2/ المفهوم الاصطلاحي:

كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام، التي تقطن جنوبي الصحراء الكبرى، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحياناً على كل السود الإفريقيين الذين يسكنون في بعض المواقع[2].

---

[1]- محمد المصطفى أبو القاسم: مصطلح السودان في المصادر العربي والأجنبية، مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين (مج 4)، 14 6228-1858، قسم التاريخ ص1.

[2]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص17.

كما عرفها القزويني بأنها بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، ومشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط[1].

كما أطلق البكري* كلمة السودان في القرن الخامس هجري، والحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف النوبة على النيل شرقاً[2].

وقد ذكر إسحاق بن الحسين بأنها بلاد كبيرة واسعة تمتد من بحر المغرب إلى بحر قلزم وهي عظيمة جليلة وبين مدينة غانة وبلاد النوبة، بلاد كثيرة الصحاري والرمال[3].كما هي امتداد666 طبيعياً لبلاد المغرب فيقول فقد بدأت بذكر حدّه –أي بلاد المغرب– المحيط به من مصدر الإسكندرية إلى النيل وأرض الصعيد حتى يمي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة آخذ إلى البحر المحيط ويمتد إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانة وأرض أودغست[4].

وهي تعرف أيضاً بذلك الإقليم الذي يحوي كل بلاد الأفارقة أصحاب البشرة السوداء وهي المنطقة الممتدة في قلب القارة من الغرب إلى الشرق ثم تحدد بعدها إسم السودان على تلك المنطقة شبه الصحراوية والتي تغلغل فيها الإسلام والتي تعرف بغرب إفريقيا[5].

فقد ذكرت بعض المصادر الأخرى بأنها بلاد السودان التي تسكنها القبائل العربية، إلى جانب سكانها الأصليين من السودان، وإقليم دارفور بصفة خاصة[6].

---

[1]- مجموعة مؤلفين: السودان وإفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الخرطوم، فبراير 2006، ص34.

*لبكري:أبو عبيد الله ابن عبد العزيز البكري، عاش بقرطبة في عصر أمراء الطوائف، توفي سنة 1094/487م وقد أهلته مواهبه الأدبية المتنوعة للعمل وقد ترك لنا مصنفاً جغرافياً على غاية من الأهمية "المسالك والممالك " الدي يحمل عنوان كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، أنظر احمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ص26

[2]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص17.

[3]- مجموعة مؤلفين: المرجع السابق، ص33.

[4]- يوسف بن أحمد حوالة: ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولة الإسلامية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 19996، ص12.

[5]- عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة الإنتشار، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998، ص ص20-21.

[6]- محمد بن عمر التونيسي: تشحيد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، المؤسسة المصرية العامة والأنباء والنشر، القاهرة، 1965، ص5.

ويستعمل مصطلح بلاد السودان للدلالة على المنطقة التي يقطنها السودان وهي بذلك تميزها من منطقة الصحراء حيث مجال البربر «البيضان» * أو «البيض**» .

وتتداول المصادر العربية اصطلاحا ثانياً وهو بلاد التكرور وأهل التكرور كانت توظفه كمقابل لمفهوم السودان[1]، وهي شعب زنجي يسكن الجزء الأكبر من وهاد فوته السنغالية ومن نبدو وبلاد فوته تمتد على جانبي نهر السنغال ولو أن أكثرها يقع على الضفة اليسرى وأما نبدو فيقع إلى الغرب من نهر فلنمه، وكذلك تنتشر منازل التكرور في بقاع أخرى في إفريقيا الغربية، وخاصة في كايس الواقعة في السنغال الأعلى[2].

كما هو اسم كان يطلق على بلاد السودان أهلها سودان وكانوا ماسير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير[3] وهي مدينة علة النيل على الغرب من ضفافه أكبر من مدينة سلا من بلاد المغرب[4].

كما يذكر ابن خلدون «السودان أضاف شعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج، والنوبة ويليهم الزغاوة، ويليهم الكانم ومن غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة[5]».

*البيضان:يرجع عبد الرحمن السعدي ان أصولهم من العرب المغاربة الدين إختلطوا بالزنوج وصلة العرب بقبائل السودان انظر أنظر: الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص24

** البيض:وهم مجموعة من السوننك وهم فروع الماند الأساسية، أي مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماند انظر: الهادي المبروك الدالي، ص23

[1]- أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني امبراطورية مالي، ط1، المجتمع الثقافي، 1430م، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، ص58.

[2]- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، (سلسلة الدراسات الكبرى)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د س ن، ص170.

[3]- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د س ن، صص172

[4]- صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1982، ص104.

[5]- عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا غرب الصحراء، ط1، منتدى سور الأزبكية، الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، 2010، ص22.

2- الحدود الجغرافية والفلكية للسودان:

أ-الحدود الجغرافية: تقع بلاد السودان الغربي حسب رأي حسن الوزان شرق مملكة كاوكا، ويمتد غرباً إلى مملكة ولاته، ويتاخم في الشمال صحراء ليبيا وينتهي جنوباً إلى المحيط[1] ويحدها المحيط غرباً ومقازات الصحراء شمالاً، وإثيوبيا العليا جنوباً حيث توجد بلاد الحبشة وإثيوبيا القريبة من مصر شرقاً وهذا الجزء من إفريقيا أكبر من جميع الأجزاء الثلاثة السابقة[2] ويطلق جغرافيو العرب الإسلامي بعد القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى بحيرة كوري شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء يطلقون عليها بلاد السودان وهذه المنطقة تمثل المجال الموازي لبلاد المغرب، تفصلها الصحراء الكبرى[3].

ويشمل أيضاً حوض السنغال وغامبيا وبوركينا فاسو (فولتا العليا) إلى الحوض الأوسط لنهر النيجر[4].

ب- الحدود الفلكية: فالسودان كما هو اليوم أكبر بلدان إفريقيا الذي يمتد عبر القارة من القرن الإفريقي شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً، يمتد من خط العرض 22 شمالاً وحتى خط العرض 4 غرب خط الاستواء، ومن البحر الأحر إلى تشاد في إفريقيا الوسطى وتبلغ مساحته نحو مليون ميلمتر مربع، سكانه خليط من الأجناس والألوان عددهم نحو 22 مليون نسمة[5].

وبلاد السودان الغربي أو غربي إفريقية هو الإقليم الممتد جغرافيا من المحيط غرباً قرب الرأس الأخضر إلى بحيرة تشاد شرقاً وتقع هذه المساحة بين خطي عرض 9°، و18° شمالاً تقريباً، وتشمل الأقاليم الواقعة شمالي الغابات الاستوائية وجنوبي الصحراء الكبرى إلى منطقة السافانان[6].

---

[1]- الطاهر خالد: مساهمة الحسن بن محمد الوزان في التاريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا (المجلة التريخية issn2572-0023)، جامعة الجزائر، ص11.

[2]- مارمول كاربخال: إفريقيا، تر:محمد حجي وآخرون، ج1، الجمعية المغربية للتأليف، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984، ص51.

[3]- أحمد الشكري، المرجع السابق، ص51.

[4]- سعود بن محمد الحثلان: دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين 3و5 الهجريين (9-11م)، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م5، 1412هـ-1992م، ص41.

[5]- عبد الغفار محمد أحمد: السودان بين العروبة والإفريقية، ط2، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، القاهرة، 1955، ص19.

[6]- يوسف بن أحمد: المرجع السابق، ص11.

ونجد أيضاً أن السودان يمتد من خط 22 شمالاً أي حوالي 144 ميلاً (2254 كيلومتر) من الشمال إلى الجنوب بينما يمتد 1200 ميلاً (1932 كيلومتر) من الشرق إلى الغرب وتبلغ مساحة هذه البقعة قرابة مليوم ميل مربع (967500 ميل^2 أو 2505700كم^2) تطل على البحر الأحمر بساحل طوله 400 ميل ويسكنها عشرة ملايين وربع المليون نسمة[1].

كما يشمل بحيرة تشاد في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب وتقع عند خط عرض 17.9 شمال خط الاستواء على وجه التقريب وهي مساحة تبلغ 2.4 مليون ميل مربع، كما تمتد من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية ونقطة ارتكازه هي حوض السنغال وحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط[2].

3- التضاريس والمناخ:

أ- التضاريس:

منطقة السودان الغربي التي نحن بصدد الحديد عنها تتخللها هضاب وجبال، منها سلسلة الجبال عبر طريق سيقوجاو، وحجار، وأهير (إبراسبن) وجبال أورار الشرقية والغربية، وترتفع بعض أماكن الصحراء إلى ستة آلاف قدم فوق سطح البحر، وتنخفض أخرى إلى مئة قدم تحت سطح البحر تنتشر فيها كثبان الرمال، والواحات الكبيرة كما توجد بها الهضاب الصخرية، والمسالك الفسيحة وسلاسل الجبال المتقطعة[3].

طغيان ظاهرة الانبساط في المنظر الطبيعي لبلاد السودان، حيث انكسارات عميقة وواسعة، ومرتفعات تضاريسية تحجب مناطق بلاد السودان بعضها عن بعض، وأهم المرتفعات نجدها في منطقة الفوتاجالون* (Foutadjallon)، حيث لا تتعدى أعلى قمة 1500م كما تعتبر

---

[1]- عبد الكريم محمد غرايبة: دراسات في تاريخ إفريقا العربية، ط1، مطبعة جامعة دمشق، 1960م، ص209.

[2]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديد والمعاصر، د م ن، القاهرة، 1998، ص5.

[3]- الهادي المبروك: المرجع السابق: ص19.

* الفوتاجاولون: منطقة توجد بالقرب من الساحل الأطلسي كانت مهتمة سياسياً في تاريخ السودان خلال العصر الوسيط، أنظر: أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع، ص60.

الشبكة الهيدروغرافية أهم عنصر يكسر المنظر الطبيعي لبلاد السودان وتتمثل أساساً في نهري السنغال والنيجر وروافدهما التي تسري تقريباً في الاتجاهات كلها[1].

ب- المناخ:

هذه البلاد حارة وفيها بعض الرطوبة بسبب مجاورة النيجر وغيره من الأنهار الكثيرة التي تخترق هذا القطر، لاسيما على طول النيجر في اتجاه حدود الصحراء حيث لا توجد جبال، لكن بحيرات عظيمة في كل مكان تتكون من فيضان الأنهر، وتحيط بها أدغال تكثر فيها القبيلة وغيرها[2].

عرف السودان تنوعاً في المناخات بين المدارية والرطبة والصحراوية الجافة وكل ما بينهما من اختلاف وتناقض، يتأثر علة توسع مدى المنطقة المدارية وتعامد الشمس مثلما يتأثر مرة أخرى بالتغير الذي يطرأ على مساحات الأرض من حوله والاختلاف الكبير بين حالة هذا الضغط من فصل إلى فصل آخر، ويكون ذلك مدعاة لتغيرات كلية في تحركات الرياح واتجاهاتها وما يلحق بها من تأثير فيما بين فصل تسيطر فيه الرياح الجنوبية الغربية الرطبة وفصل آخر تسيطر فيه الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة[3].

المبحث الثاني: المدن التجارية بالسودان الغربي

1/ ولاتة: حاضرة بربرية صحراوية، تتاخم غينيا جنوباً وتقابل صنهاجة شمالاً أما القبائل التي تتواجد في ربوع هذه المملكة فإنها تسمى بني آيس ويوجد بعض عناصر هذه القبائل بجنوب ليبيا وتتميز بشرتهم بكونها أقل اسوداداً من بشرة العناصر الذين يقطنون شمال النيجر، الجذير بالذكر ان هذه القبائل مجملها تختلف من حيث أخلاقها وسلوكياتها من ذلك أن القبائل المتواجدة وسط المملكة؛ تتميز بنوع من الخشونة الخلقية[4].

كما تعتبر أيضاً مملكة صغيرة خاملة بالنسبة لسائر ممالك السودان فليس لها من الأماكن المسكونة سوى ثلاث قرى كبيرة وأكواخ متفرقة بين حدائق النخل، وتبعد هذه القرى بنحو

---

[1]- أحمد الشكري : المرجع السابق، ص60.

[2]- مارمول كربخال: المرجع السابق، ص53.

[3]- صلاح الدين الشامي: السودان، المعارف بالإسكندرية، القاهرة، 2002، ص139.

[4]- مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص198.

ثلاثمائة ميل جنوب نون وخمسمائة ميل شمال تنبكتو ومائة ميل من المحيط، ولما كانت شعوب ليبيا تسيطر على هذه الناحية جعلوها مقر البلاد الملكي فأدى ذلك بالكثير من تجار بلاد البربر إلى الوفود عليها[1].

وتقع أيضاً إلى الشمال الغربي من تنبكت، ومعناها الأرض المرتفعة وكان أهل صنغاي يسمونها (بيرو) وكان تأسيسها حوالي القرن الهجري الأول، ويذكرها ابن بطوطة باسم (ايوالاتن) والسعدي باسم (والاتن)، حيث بدأت تحتل مكانها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي بعد سقوط مملكة غانة وقيام مملكة مالي التي ضمتها إلى حدودها، حيث اتجهت إليها القوافل عبر المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى[2].

2- جني: تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي، من مدينة تنبكتو وتبعد عنها حوالي ستمائة كيلو متر تقريبا، وقد ورد اختلاف في تا يخ تأسيسها، الا ان السعدي يورد أنها تأسست في القرن الثاني الهجري 623/2 [3]، وسيرد الحديث عنها بالتفصيل في فصل العمران أما ما يهمنا من المدينة مركزها التجاري، وقد حظيت بأهمية إقتصادية كبيرة نظرا لموقعها المتميز، كملتقى للقوافل التجارية التي تسير بين شمال الصحراء وجنوبها، حيث اشتهرت بتجارة الملح والذهب[4] وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين وفيها يلتقى أرباب الملح من معدن تغاز و أرباب الذهب من معدن بيط وكلا المعدنيين المباركين ماكانت مثلهما في الدنيا كلها، فوجد الناسب بركتها في التجارة اليها كثيرا وجمعوا فيها من الأموال مالا يحصيه الا الله سبحانه[5] وهي مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله ذلك في أرضها خلقا وجبلة وطبيعة اهلها التراحم والتعاطف والمواساة ولكن المنافسة على الدنيا كانت من اخلاقهم جدا بحيث اذا زادت لاحد جاه بينهم اجمعوا على بعضه من غير ان يظهروه

---

[1]- محمد الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص161.

[2]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص147.

[3]- المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق ص 306

[4] عبد الرحمان السعدي : تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس 1981 ص 12

[5] نفسه ص 12

له ولا يتبين الا اذا وقع من صروف الزمان والعياذ بالله فساعتئذ يبدى كل واحد ماعنده من قول البغض وفعله، وقد بلغت " جيتي " قدرا من المناعة والقوة لدرجة أنملوك إمبراطورية مالي حاولوا غزوها تسعا وتسعين مرة فلم ينجحوا، وكان (على الاكبر) على علم ودراية بتاريخ هذه المدينة القوية ويعرف قدرها من الناحية الدينية والناحية العليمة غير معرفة . مع ذالك فقد اتجه بجيوشه إليها، محاولا أن ينجح فيما يفشل محاولات عديدة تمثلت في حصاره لمدة سبع سنين وسبع شهور وسبعة أيام متصلة [1]

3-جاو: تقع مدينة جاو اليوم إلى شمال الشرقي، من العاصمة بامكو بجمهورية مالي فقد تمثلت الدور السياسي كعاصمة لامبراطورية سنغاي والدور الاقتصادي كمركز من المراكز التجارية للسودان الغربي، نمت جاو سريعا لوقوعها على نهاية الطريق الصحراوي عبر المنطقتين الشرقية والوسطى من الصحراء الكبرى المتجه نحو حوض نهر النيجر، وقد مكنها موقعها على منحنى نهر النيجر نحو الجنوب بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد نهر النيجر [2]، وهي على بعد أربعمائة ميل جنوب شرق تنبكتو بها تجار أثرياء وترد اليها الاقشمة من المغرب و اروربا، وفي عمر ازدهار الطرق الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي كانت القوافل تصل إلى تنبكنو ومنها تتجه إلى جاو غير أن ذلك تغير في اخر عهد مملكة سنغي بعد تدهور أحوالها وأصبحت الطرق الشرقية أكثر ازدهارا بسبب نمو ممالك الهوسا فكانت القوافل الصحراوية ترد إلى جاو ومنها إلى تنبكت، وقد تم تأسيس جاو قبل دخول الاسلام اليها في أواخر القرن الثاني الهجري وفد اناشر الاسلام في القرن السادس [3] .

وفي بداية القرن الحادي عشر وبالتحديد في سنة 1010م أسسها الملك " كوزي " KOSI وهي أول عاصمة للمملكة السونغاي وسرعات ما أصبحت مدينة " جاو " مثل مدينة " تمبوكتو" من ناحية الدعوة إلى اعتناق الديانة الاسلامية فقد امتلأت هذه العاصمة بمجالس

[1] جوزيف جوان : المرجع السابق ص 84

[2] المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص

[3] حسن الوزان : المرجع السابق ص 65

العلم، ووفد اليها العلماء المسلمون من الدول الاسلامية في شمال وشمال شرق القارة، كما وفد اليها طلاب العلم من مناطق المملكة ومن المناطق الأخرى المجاورة [1]

4- تنبكت (تنبكتو): تقع مدينة تنكبت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر، وقد مكنها موقعها المتميز، من أن تلعب دورا مهما في اقتصاد شمال جنوب الصحراء .

لقد تمثلت التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها وبذلك اهتموا بها اهتماما كبيرا، وتوافد عليها التجارة من داخل السودان الغربي ومن خارجه وخاصة من الشمال الإفريقي، وفي مقدمتهم المغرب وليبيا [2] . وتعتبر من أهم المركز التجارية و الثقافية في غرب إفريقيا وقد أنشئت في أخر القرن الخامس الهجري سنه 490هـ – 1906 م، في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، وقد بلغت مكانة كبيرة في الثقافة العربية حتى أنها كانت لا تقل عن مكانة القيروان في تونس أو فاس في المغرب الأقصى أو قرطبة في الأندلس أو القاهرة في مصر[3]، وقد تأسست من قبل الطوارق (كلتماشق الملثمين) في نهاية القرن الخامس الهجري وبداية القرن الحادي عشر الميلادي، وهي مدينة ذات جمال وكان أهلها يدينون بالإسلام ويحيون السنة ويحاربون البدع فلهذه المدينة فضائل عديدة، فمن دخلها خائفا وجد الطمأنينة ومن سكن فيها عاما أو أكثر نسي فعلته وتاب عنها . فهي دار فقه وعلم وإصلاح سكانها صفوة من العلماء والفضلاء [4] .

ولقد عرفت تنبكت بتجارتها عبر العصور وان التجارة كانت تمثل بالدرجة الاولى المصدر الرئيسي في حياة السكان وتأتي بعدها الثورة الحيوانية التي تمثلت في الابقار والاغنام والخيل ...

ولقد كانت حرفة الرعي حرفة أساسية في حياة السكان المجاورين للمدينة من (كلتماشق) والبرابيش والفلان، وقد أدت التجارة دورا هاما في ازدهار تنبكت اقتصاديا وحضاريا فتوافد عليها الناس من جميع الجهات من الشمال الافريقي عبر الصحراء الكبرى [5]

---

[1] جوزيف جوان : المرجع السابق ص 82

[2] المبروك الهادي الدالي : المرجع السابق، ص 307

[3] عصمت عبد اللطيف دنرش: المرجع السابق، ص 163

[4] الحسين عماري : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربيفي بداية العصر الحديث، ص34

[5] حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس هـ/التاسع والحادي عشر م ' فرع . درنة).

المبحث الثالث: المدن المغاربية التجارية وعلاقتها ببلاد السودان الغربي

1/ المدن والمراكز التجارية المغاربية

أ– سجلماسة: هي مدينة تقع في سهل بجانب زيز، وبها أسوار عالية وجميلة مازالت اثارها قائمة .

كانت هذه المدينة زناتية قبل ان تستولي عليها يوسف بن تاشفين وكانت غنية تمر بها القوافل الراحلة إلى السودان اوالقادمة منه وكان يوجد بها كثير من المساجد والمدارس وفي كل حي كانت تتدفق المياه في النافورات والسقايات، وكان الماء يجلب اليها من النهر بواسطة نافورات خشبية تدور فتملئ أوعيتها بالماء ثم تصبه في قنوات تفرغه بدورها في مستودعات مرتفعة[1].

وعلى حد قول محمد حجي. ذكر في تقييده أنها من تأسيس العرب الفاتحين سنة 40هـ، ثم وسعها بنو مدرار، واستولى عليها بعد ذلك الفاطميون الذين أدرت عليهم أموالا طائلة لكونها شكلت مركزا تجاريا مهما في طريق القوافل التجارية المؤدي إلى بلاد السودان، وبعد قيام دولة المرابطين في اوساط القرن الخامس الهجري خضعت من جديد لنفوذ الحكم المغربي " وظلت عامرة أيام الموحدين والمرنيين إلى انتم تخريبها قبيل ظهور السعديين " فانتقلت أهميتها إلى القصور المجاورة"، لان الوزان عندما زارها في بداية القرن 16م وجدها خربة تماما2. أدى ازياد الحركة التجارية في اول القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي في المنطقة الغربية من الصحراء الكبرى إلى ظهور محطة جديدة قدر لها أن تلعب دورا كبيرا في تاريخ العلاقات التجارية، عبر الصحراء وهي مدينة سلجماسة في الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية[3] وسلجمانة مدينة حسنة الموضع جليلة الاهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد، أهلها قوم سراة مياسير بيايبون أهل المغرب في المنظر والمخبر مع علم وستر وصيانة وجمال واستعمال

[1] مارمول كرفخال: المرجع السابق، ص 153

[2] الحسين عماري : المرجع السابق، ص 3

[3] المبروك المعادي : الدالي المرجع السابق، ص 301

للمروءة وسماحة ورجاحة وابنتيها كأبنية الكوفة إلى ابواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية[1].

ب–غدامس: تقع مدينة مداغس إلى الجنوب الغربي مدينة طرابلس وتبعد عنهاحوالي ثلاثمائة كيلومتر وهي من ضمن نطاق ليبيا عند التقاء حدودها مع تونس والجزائر ولغدامس تاريخ قديم ويرجع إلى العصر الفينيقي والروماني فقد كانت حصنا تجاريا وحربيا لروما على طريق جرمة جنوبا وقد دخلت غدامس ضمن حدود الدولة الاسلامية في حملات عقبة بن نافع الفهري على المغرب[2]، وغدامس منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى مأهولة على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر الابيض المتوسط سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال لانهم يتاجرون مع بلاد السودان يديرون شؤونهم بأنفسهم ويؤدون خراجا إلى الأعراب وكانو من قبل خاضعين لملك تونس اي خليفته في طرابلس ويرتفع ثمن القمح واللحم في هذا المكان ارتفاعا كبيرا [3]، وكانت غدامس محطة تجارية للقوافل المتهجة نحو غرب افريقيا عبر و رجلان أو نحو نهر النيجر وتفرغت من غدامس عدة طرق تجارية ووصلت اليها القوافل القوافل من طرابلس وجنوب تونس والجنوب وبعضها كان يتجه جنوب غرب إلى مرزوق ومنها إلى برنو فباتت غدامس بذلك محطة تجميع القوافل التجارية وتوزيعها ومراكز لتبادل البضائع بين دول شمال افريقيا ومملكة غانا [4].

ج– أودغست: وهي مدينة من مدن ابمراطورية غانا تقع بين الزنوج وسلجماسة على بعد احدى وخمسين مرحلة من غانا وتبعد أودغست عن القيروان بمائة وعشرين مرحلة [5]، وهي مدينة لطيفة أشبه بمكة وبمدينة الجرزوان في بلد الجوزجان من بلاد خرسان لانها بين جبلين ذات شعاب [6]، وقد عرفت المدينة حركة تجارية نشيطة، ساعد في تكوينها تجار من الشمال الافريقي من سلجماسة ودرعة وغدامس فجلبوا اليها القمح والتمر والزبيب ويتجهز لها بالنحاس المصنوع وبثياب مصبغة ويجلب منها العنبر لقربها من المحيط الاطلسي، كما كانت البلد تتمتع بثروة حيوانية

[1] ابي القاسم بن حوقل: هوة الارض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان 1996م، ص 90

[2] المبروك المعادي الدالي : المرجع السابق، ص 296

[3] حسين الوزان: المرجع السابق، ج2، ص 146

[4] حمد محمد الجمهيمي: المرجع السابق، ص 06

[5] ابي عبيد البكري: المصدر السابق، ص 851

[6] أبي القاسم ابن حوقل : المصدر السابق، ص 91

متمثلة في الغنم، حيث تشتري عشر أكباش بمثقال وكما يوجد عندهم البقر والابل وحيوان يعمل منه الدرق يعرف باللمط [1] وظهرت أهمية أودغست التي هي واحة صحراوية مند السادس الميلادي ولكنها أصبحت خلال الفترة بين القرن التاسع عشر والقرن الحادي عشر محطة تلتقي عندها أهم الطرق التجارية الصحراوية وقد ظلت عدة قرون مركزا لحضارة اسلامية مزدهرة وكانت تشتمل على عدد من المساجد والمدراس والمؤسسات والاسواق، وكان يجري فيها تبادل المنتجات المغربية بالعبيد و الذهب الذي يستخرج من مملكة غانا، وكانت مثل" تدمكة" أكثر من مجرد محطة تقف عندها القوافل لتتزود فيها لمواصلة سفرها بل هي مدينة تجارية قائمة بنفسها فالتجار المغاربة كانوا يفضلون ان تكون متاجرهم ومستودعاتهم في قاعدة بربرية اسلامية مجاورة للسودان[2] .

وهدا دليل على عضمتها بوصفها مملكة ومركزا تجاريا وبالرغم من عضمتها و شساعتها الا انها تعرضت إلى انهيارمراكزها وحل محلها مركز تجاري عظيم أخذ مكانتها وهي ولاته التي لعبت دور محطة لتجارة في الصحراء .

د– توات:

هي مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدر ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات وتقع المنطقة بين خطي طول 4° غرباً إلى 1° شرقاً، وبين خطي عرض 26°-30° شمالاً، ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق متميزة هي: تنجورارين، وتوات وتيدكلت[3].

ومما تزخر به منطقة توات تلك المراكز الثقافية الهامة المتمثلة في الزوايا، التي عملت على نشر الوعي الفكري والحضاري، وبث الرح العلمية في نفوس سكان الصحراء وأفريقية الغربية، ناهيك عن دورها الاجتماعي الكبير المتمثل في خدمة المجتمع وإيواء عابري السبيل ومعونة المعوزين ومن جهة أخرى فقد عملت على استقطاب وتخريج العديد من العلماء والفقهاء البارزين الذين سعوا

[1] أبي عبيد البكري، المصدر السابق ص ص 848-849

[2] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص ص 289 - 290

[3]- محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص28.

في نشر العلم والمعرفة، فأناروا مشاعل العلم في ربوعها وربوع ما يجاورها من الأقطار والحواضر خاصة في القرن الثاني الثاني عشر هجري[1].

ومنطقة توات الأصلية أوتسوات تقع بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تكوِن الحافة الشرقية لوادي مسعود والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان وهذا الامتداد هو ما يسمى بمقاطعة توات الأصلية وأهم قصورها: قصور بودة، قصور تيمي، تمنطيط، بوفادي، أولاد الحاج، تسفاوت، فنوغيل، انزجمير، تامست، سالي، زاوية كنتة، رقان، ومجمل قصور توات تزيد عن ثلاثمائة قصر تؤلف سلسبة من القصور تنفتح على الشمال وتنغلق باتجاه صحراء تنزروفت[2].

2- القوافل التجارية والمسالك الصحراوية:

كانت طرق المواصلات البرية والنهرية الشريان الذي يتدفق فيه النشاط التجاري داحل السودان نفسه، ومن السودان نحو الشمال، وكان هناك محوران أساسيان في التعامل التجاري في بداية القرن السابع عشر، محور شمالي جنوبي من مراكش إلى تمبكتو عبر أقاو تندوف وتاودوني وأروان وأبراز، ومحور شرقي غربي تستخدمه السفن من دندى إلى المحمدية وسان عبر كوكيا وغاو وتنديبي وبوريم وبامبا وكارابار أو توغيا وكابا وتندير ماوبارا وديبني.

أما المسالك الثانوية فكانت تأخذ اتجاهات مختلفة وترتبط أقاليم السودان ومدنه شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً[3].

وكانت القوافل التجارية منذ القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) تخرج من تلمسان؛ فتتجه غرباً نحو فاس ومن هناك تأخذ طريقها إلى سجلماسة في اتجاه بلاد السودان الغربي، فتقطع رحلاتها على ثلاث مراحل كبرى وهي:

---

[1]- محمد عبد الكريم المغيلي: المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج1، دار ابن طفيل، الجزائر، 2011، ص03.

[2]- محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص ص32-33-34.

[3]- محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة، الكويت، د س ن، ص457.

أ- المرحلة الأولى: وتنتهي عند سجلماسة أو توات، او عين صالح، ويربط بين كل محطة من هذه المحطات وبين تلمسان طريق وأهم هذه الطرق طريق تلمسان-سجلماسة.

ب- المرحلة الثانية: تتمثل في الطرق التي تربط سجلماسة وتوات، وعين صالح، فمن سجلماسة إلى تغازي مدينة الملح، ثم إلى مدينة ايوالات بداية بلاد السودان[1].

ج- المرحلة الثالثة: تمتد في داخل بلاد السودان الغربي، ومن ايوالاتن تسير القوافل إلى زاغري (ديورة) ثم إلى بلد أرسو من مملكة مالي ثم مدينة مالي (نياني).

وقد فصلنا القول في مطلع الفصل الثالث عن الطرق الصحراوية الأربع الكبرى المؤدية من مصر وفزان إلى كوكيا وغاو، ومن طرابلس وقسنطية والجزائر إلى تنبوكتو ومن وهران وتلمسان وتوات إلى حوض النيجر الأوسط ومن مراكش عبرآقاو وتندوف وتاودوني إلة تنبوكتو[2].

وأما طرق القوافل الكبرى التي ازدهرت في العهد الإسلامي عبر الصحراء فكانت أهم محطاتها تمبوكتو وفاس وسجلماسة وقلعة بني حماد والقيروان زالقاهرة وبغداد، وبواسطة هذه الشبكة من طرق القوافل؛ كانت الصحراء تتلقى منتجات العالم المصنوعة وتتبادلها بالعبيد والتبر[3].

فعند الخروج من مراكش كانت القوافل تسلك طريق خوانق الأطلس إلى قرية تزنتيست عند ثنية كلاوة (175 كليومتراً) ومنها إلى قريية تالوين (120 كيلومتراً) وعند تالوين هناك طريقان:

الطريق الأولى: تتجه من:

- تالوين/تازناخت/فم زكيد 75كم.
- فم زكيد/ذرعة 75كم.
- درعة /فم الدفيلي 135كم.
- فم الدكيلي/مركالا 130كم.
- مركالا/تندوف 122كم.

[1]- إبراهيم فخار: حولية المؤرخ، (مجلة دورية يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين)، ع5، دار الكرامة للطباعة والنشر، جوان 2005، ص ص 84-85.

[2]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص458.

[3]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص48.

الطريق الثانية: فتسير من:

- تالوين إلى طاطا 190كم.
- طاطا- أقا 65كم.
- أقا / فم العشار 110كم.
- فم العشار / تندوف 150كم.
- تندوف / تاودوني 820كم.
- تاودوني/ أروان 450كم.
- أروان/ تنبكتو 250كم.
- تنبكتو / كابارا 08كم[1].

3/ أهم السلع المتبادلة: (الملح – الذهب – العبيد – التمر)

أ– الملح: تعد الملح واحدة من المواد الرئيسة التي ساهمت في بلورة أو تشكيل حكمة الشعوب أو مورثاتها التاريخية، حيث لا يوجد في معظم أجزاء إفريقيا ملح غير الذي يستخرج من المناجم بحفر سراديب كما يفعل بالرخام والجبس ومنه الرمادي والأبيض والأحمر ويكثر جداً في بلاد البربر، ويقل في نوميديا لكنه كافٍ ولا وجود له في بلاد السودان، حيث يجمد الملح في الصيف، في بعض البحيرات الصغيرة والغدران ببلاد البربر، مكوناً طبقة بيضاء مستقيمة كما يشاهد ذلك مثلاً في ضواحي فاس[2].

وكان الملح مادة غالية الثمن في السودان حتى الوقت الذي كانت فيه ممالح تغازي القديمة في إعداد أملاك أساكي السونغاي وسعياً وراء الربح وبالنظر لمكتمة تجارة الملح فقد قلت بعد استيلاء المغاربة على مناطق السودان المختلفة بما فيها منطقة تاودوى (تغازي الغزلان فقد زاد العرض على الطلب وتدنت الأسعار بكيفية كبيرة[3].

ب– **الذهب:** يعتبر الذهب من السلع الأساسية في صادرات السودان الغربي إلى بلاد المغرب والذي يأتي في المرتبة الأولى من ناحية الأهمية والقيمة وهو ما تؤكده المصادر في إشارتها إلى ذهب

[1]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص459.

[2]- حسن الوزان وصف إفريقيا، ج2، ص280.

[3]- محمد الغربي: المرجع السابق: ص448.

السودان وبالرغم من أن الذهب وجد في مناطق مختلفة من غرب إفريقيا إلى أن مناجم المناطق الاستوائية الداخلية والواقعة جنوب مملكة غانة تعتبر المصر الرئيسي للذهب في السودان[1].

وقد كان يأتي في مقدمة الصادرات السودانية من حيث القيمة وتزايد الطلب عليه، فقد أكد أغلب المؤرخين أن ذهب السودان كان يغطي احتياجات المغرب والأقطار الأوربية معاً، كما أنه كان يغطي وحده أثمان كل البضائع المجلوبة إلى الجنوب[2].

وبلاد السودان تتوفر على الذهب الذي يحتاجه أهل الشمال فقد أدى هذا إلى تقوية العلاقات التجارية بين الطرفين، وتقترن تجارة الذهب بما يعرف بالتجارة الصامتة[3].

وكان الذهب السلعة الأولى التي جذبت إليها التجار؛ منذ عهد الفينيقيين، حيث تاجروا في الذهب مع السودان الغربي، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الذهب محور تجارة السودان عبر الصحراء مع المغرب، وتميزت بعض المناطق في السودان الغربي بتواجد كميات كبيرة من الذهب مثل جزيرة ونقارة التي تبعد عن مالي بثمانية أيام، وغايرو وبلاد الفرويين، وكوغة، إلى الجنوب الغربي من غانة، وكانت كميات الذهب في تلك المناطق كثيرة حيث أن ملك غانة وحده اثنى عشر معدناً يستخرج منها التبر[4].

ج–العبيد: يبدوا أن تجارة العبيد ظلت على الحالة التي كانت عليها في عهد الأسالي فلم يقع توسع كبير في تصدير العبيد عن طريق النخاسة وكان تجار العبيد كتجار الملح يجنون أرباحاً طائلة من تلك التجارة بالنظر للفرق الكبير بين ثمن الشراء وثمن البيع، وكان العبيد من بين أفراد قبيلة الموسى الوثنية وكانوا يجمعون بعد الغارات ويباعون بعد ذلك بواسطة الوسطاء السودانيين في الأسواق الإسلامية[5].

---

[1]- سعود بن محمد الخثلان: المرجع السابق، ص51.

[2]- محمد الغربي، المرجع السابق، ص450.

[3]- ابتهال عادل إبراهيم، هشام سودادي هاشم: من صور التواصل الاقتصادي لطرق الحج بين العرب المسلمين وسكان إفريقيا، تجارة الملح نموذجاً، ص14.

[4]- الهادي المبروك الدالى: المرجع السابق، ص319.

[5]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص451.

د- التمر: من السلع االتي كانت ترد على السودان الغربي، وخاصة مدينة جني من الشمال الإفريقي، فقد كانت تصدر ورجلان، وسجلماسة وغدامس وايولاتن[1].

[1]- نفس المرجع، ص331.

الخلاصة:

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أن منطقة السودان الغربي تتميز بموقعها الجغرافي والفلكي، الذي يمتد عبر القارة من القرن الإفريقي شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً، وكذا تضاريسها ما يتصل بالأرض وخصائصها حيث كانت تشهد خصوبة الأراضي، وتنوع منتوجاتها من حبوب وفواكه بالإضافة إلى المناخ والعناصر التي يتميز بها وكذا أفادت الدراسة أن منطقة السودان كانت تحتوي على ثروة حيوانية برية وذلك بسبب خصوبة المنطقة وكثافة أشجارها والمناخ الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة صيفاً، كما كانت ترتكز على أهم المدن والمراكز التجارية في المنطقة، كما تزخر المنطقة بالعديد من الثروات المعدنية المتنوعة، وتنوع السلع المتبادلة بين السودان الغربي والمغرب في مقدمتها الملح والذهب اللذان يعتبران السلعتين الأساسيتين في صادرات السودان الغربي إلى بلاد المغرب.

الفصل الثاني: مناجم الملح الصحراوية

المبحث الأول: الملح دراسة مفاهمية وتاريخية

المبحث الثاني: أهم الملاحات

المبحث الثالث: أهمية الملح في العملية التجارية

تعتبر الصحراء الكبرى هي الطريق الرئيسي للتجارة بين دول الشمال ودول الجنوب، فقد شهدت الحركة التجارية تطوراً وازدهاراً كبيراً حيث كانت ترتكز في بعض الدول والبلدان خاصة بلاد السودان الغربي والتي كانت تمثل العمود الفقري للاقتصاد السوداني، وكانت منطقة السودان أهم مركز للتبادل التجاري، ومن بين التجارة التي كانوا يمارسونها تجارة الملح والتي كانت مادة أساسية في التجارة العامة للأقاليم السودانية، وهذا ما سنركز عليه في هذا الفصل، أولاً دراسة مفاهيمية وتاريخية للملح (تعريفها، وأنواعها، وكذا أهم المناجم أو المصادر للملح بالسودان)، كما سنركز أيضاً على أهمية الملح في العملية التجارية (كسلعة، وعملة، ومقايضة).

المبحث الأول: الملح دراسة مفاهمية

1) التعريف اللغوي والاصطلاحي للملح:

أ- لغة: قد عرفت العرب الملح وقاربته بمعادن كثيرة فهناك من يرى كلمة ملح جاءت من كلمة مليح ومليحة أي من الحسن والجمال[1].

ب- اصطلاحا: هو معدن شفاف هش يتركب من عنصري الصوديوم والكلور، ويعرف علميا بكلوريد الصوديوم وصيغته الكيميائية NaCl واسمه المعدني الهاليت. يكون الملح عادة بلورات صافية في شكل مكعبات[2].

والملح هو ما طيب به الطعام وبتأنيثه يصبح العباب وتصغير مليحة وهي المادة التي يرجع لماء البحر طعمها ويمكن الحصول عليها من طبقات الأرض المليحة أو الملاحات البحرية التي تتكون بعد تبخر الماء، ومنه يمكن القول أن الملح مادة معدنية لها علاقة بالبحر تأخذ منه الملوحة[3].

---

[1]- الاتحاد الدولي للمؤخرين، أعمال المؤتمر الدولي تحت عنوان العرب وإفريقيا قراءات في العلاقات التاريخية والسياسية والاجتماعية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بغداد، ص 401.

[2]- ابتهال عادل إبراهيم، هشام سوادي هشام، من صور التواصل الاقتصادي لطرف الحج بين العرب والمسلمين وسكان إفريقيا، تجارة الملح نموذجا، د.م.ن، د.س.ن، د.ص.

[3]- سهام طيبي، المعادن في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط (مذكرة مقدمة لنسل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 08 ماي 1945م، قالمة، 2017/2016م، ص 57.

2) أنواع الملح:

للملح نوعان أحدهما ملح بحري اجتمع فيها ماء المطر شتاء حاملا معه كميات كبيرة من الملح، فإذا تبخر الماء في الصيف بقي الملح على هيئته صفائح منشور، وعلى هذا الأساس يتبلور الملح على شواطئ البحار ويستحضره الأهالي من مياه البحر وتنقل إلى معامل خاصة لتنظيفها ويتكون هذا من 50% من كلوريد الصوديوم و5% من معادن أخرى، منها المنغنيز والكالسيوم والفسفور والأيودين من مصدره الطبيعي[1].

ب- النوع الثاني: فيعرف بالملح الأنداري أو الملح الصخري أو ملح المناجم، حيث يوجد في المناجم متبلورا على هيئة كتل صخرية بلورية مكعبة الألوان لها تبعا لنسبة الشوائب فيه، ويبدو أن هذا النوع من الملح منتشرا في منطقة تغاري، إذ أشار الرحالة ابن بطوطة أن بيوتها ومسجدها بني من حجارة

أ- الملح البحري: يستحصل عليه من مياه البحار كالبحر الميت، ويوجد بالقرب من دمشق وحلب وتدمر وثماني مدن في العراق ومصر، وبلاد المغرب العربي وغيرها من المدن سبخات، وهي مواضع الملح، وأن أرضها رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الإٍض فيوجد منه ألواح متراكبة كأنها نحتت ووضعت متراكبة تحت الأرض[2].

ج- أهمية الملح: اكتسب الملح الحجري أهمية خاصة في منطقة غرب الصحراء والسودان العربي خلال العصر الوسيط[3]. وتبين أهمية الملح أنه ملح مولد في بقعة مشرفة ... من دونه لا تعد في المعبد. من دونه لا يتمتع الرب والملك والسيد والنبلاء بالقرابين، كعامل وقائي كان الملح يستخدم لحفظ اللحوم والأسماك في جو العراق الحار ولحفظ الجثث البشرية، حيث نعلم من خلال النصوص التاريخية قيام الملك العيلامي بحفظ جثة نبو-بيل شحاتي بالملح ونقلها مع رأس السائس آشور بانيبال، وكان الجنين الذي يولد يحفظ أو الأول بالملح لكي تعطي المولود مناعة لبدنه[4].

---

[1]- ابتهال عادل إبراهيم، هشام سوادي هشام، المرجع السابق، د.ص.

[2]- الاتحاد الدولي للمؤخرين، المرجع السابق، ص 401.

[3]- النائي ولد الحسين، المرجع السابق، ص 52.

[4]- ابتهال عادل إبراهيم، هشام سوادي هشام، المرجع السابق، د.ص.

يعتبر مادة أساسية عند المصريين بحيث أنهم في تحنيط موتاهم، لذا فإن قدرة الملح على حفظ الجثث منحته هالة أسطورية فردية، حيث نظر إليه المصريون نظرة مساوية للحياة[1].كانوا يستعملونه

المبحث الثاني: أهم الملاحات

1) تغازة: تشكل المنطقة الكبرى الثانية لصحاري ليبيا، وتقع شرق الأقاليم الصنهاجية، لا يوجد فيها عمران، وكل ما تحتويه هو منجم للملح الحجري، ويروي هيرودوت أن تغزة تقع بين مدينة طيبس* المصرية، وبين موقع أعمدة هرقل[2].

فهي عبارة عن مكان مأهول فيه عدد من مناجم الملح التي تشبه مقالع الرخام، يستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح، وهم ليسوا من سكان البلدة بل من أصل أجنبي يأتون مع القوافل ويقيمون هنا كمنجمين يستخرجون الملح ويحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم، ومن هناك يحمل إلى تمبكتو التي يعوزها الملح كثيرا، حيث يحمل كل جمل أربع قطع من الملح[3].

وقد عرفت تغازة عند كتاب القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، فذكر ابن سعيد استخراج الملح منها والذهاب به إلى السودان. وكما أفاد القزويني عن قيمة المل في أرض السودان حينما قال: "والملح بأرض السودان عزيز جدا، والتجار يجلبونه من تغازة إلى سائر بلادهم"[4].

ونرى أن بالرغم من طريق الملح كان مستعملا منذ مئات السنين، يعني قبل ظهور إمبراطورية غانا، إلا أن ملوك غانا فوضوا سيطرتهم على مناجم الملح بمدينة تغزة.

2) تاودني: منطقة نائية تعرف بمناجم الملح في الإقليم الصحراوي الواقع شمالي دولة مالي حاليا، والمعروف بازواد، تبعد 644كم إلى شمال تمبكتو، ويقيم بها ألف عامل مؤقت من العرب

---

[1]- نفسه د.ص.

*طيبس: مدينة كبيرة في جنوب مصر بنيت على أنقاضها مدينتا الأقصور والكرنك. انظر المرجع، إفريقيا لمارمول كربخال، ص 184.

[2]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج3، دار النشر والمعرفة، الرباط، 117، 1984م، ص 184.

[3]- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 113، 5787، ص 108.

[4]- زكرياء بن محمد القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص 26.

والطوارق الذين ينقلون الملح منها إلى تمبكتو عبر واحة أروان ثم يغادرونها في شهور الصيف فتكاد تكون خاوية[1].

والملح الذي يستخرج من منجم تاودني يجهز للتجارة في شكل قوالب مربعة الزوايا وتبلغ كثافتها ما يتراوح بين أربعة وخمسة سنتيمترات، وطولها أكثر من متر واحد، وعرضها نحو خمسين سنتمترا، أما وزن لوح الملح فيبلغ أربعين كيلوغراما، وملح تاودني يحمل إلى مختلف المناطق الصحراوية[2].

3) موقع أوليل: تعتبر أوليل من أشهر الملاحات الواقعة بصحراء صنهاجة، أي الجزء الغربي من الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، ويحدد ابن حوقل موقعها على مسافة شهر واحد من مدينة أودغست، وشهر ونصف شهر من مدينة سجلماسة[3]. ويفيد أبو عبد البكري أن أوليل التي يحمل منها الملح إلى ما جاورها ليست جزيرة وإنما تقع قرب جزيرة تسمى "أيوني" يمكن الوصول إليها عن طريق الأقدام[4].

وأوليل هي عبارة عن جزيرة قريبة جدا من الساحل، وفيها معدن الملح، ويذكر الإدريسي أن: "بها الملاحة المشهورة، ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها"، وكان الملح يحمل منها إلى جميع بلاد السودان من الجزيرة بالسفن إلى البر، ثم تحمله الإبل بعد ذلك إلى مناطق توزيعه[5].

وتعتبر من أقدم تلك الممالح استغلال، وقد ذكر ابن حوقل في القرن العاشر[6]، ويعرفها على أنها معدن للملح ببلاد المغرب، وينسب كل من البكري وصاحب كتاب الاستبصار الملح الموجود بها على شاطئ البحر إلى قبيلة جدالة البربرية من بلاد المغرب طبعا[1].

---

[1]– إدارة العلاقات الخارجية بالغرفة التجارية المصرية بالإسكندرية، جمهورية مالي، تقرير عن دولة مالي.

[2]– إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها (سلسلة الدراسات الكبرى)، شارع زيروت يوسف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 56.

[3]– محمد بن عميرة، معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 09، د.ط، د.س، ص 115.

[4]– أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، د.س، ص 171.

[5]– د. عبد اللطيف عصمت دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ/1038-1121م) (السلسلة الجامعية)، دار العرب الإسلامي، د.س، د.م.ن، ص 49.

[6]– الثاني ولد الحسين، صحراء الملثمين، دراسة لتاريخ موريتانيا واتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م، د.س، د.م.ن، د.ت، ص 53.

وكانت جزيرة أوليل على المحيط الأطلسي المصدر المهم لتزويد السودان الغربي بالملح، وبسبب وقوعها في آخر غرب السودان فقد كان من الصعوبة بمكان وصول ملحها إلى أطراف السودان النائية جنوبا وشرقا، لعدم توفر المواصلات التي تسير ذلك، وكان التكرور يتاجرون في ملح أوليل على نهر السنغال[2].

المبحث الثالث: أهمية الملح في العملية التجارية

1) سلعة الملح:

لا يوجد في معظم أجزاء إفريقيا ملح غير الذي يتم استخراجه بحفر سراديب، ونجد فيه الرمادي والأبيض والأحمر وهو يكثر في بلاد المغرب[3]. وفي غضون العصور الوسطى كلها، كان الإنتاج المعدني الصحراوي الوحيد هو الملح الذي كان المادة الأولى للتبادل التجاري في الصحراء[4]. كما كان الملح مادة غالية في السودان حتى في الوقت الذي كانت ممالح تغازى القديمة في عداد أملاك أساكي السنغاي، وسعيا وراء الربح وبالنظر لمكانة تجار الملح وقد زوج أحد ملوك السودان ابنتيه الاثنين لتجار الملح ويبدو أن أهمية الملح قد قلت بعد استيلاء المغاربة على مناطق السودان[5]. وكانت مدينة جاو عاصمة مملكة سنغاي من أهم المراكز للاتجار بالملح ومع أن هذه المدينة كانت محطة لأهم أنواع السلع التي تنقل إليها من الشمال الإفريقي والبحر المتوسط إلا أن أغلى أنواع السلع فيها هو الملح، وكانت قوافل عدامس من أهم القوافل التي لعبت دورا في ازدهار تجارة الملح[6].

2- الملح والذهب:

كان الذهب يوجد في أكثر من موضع أنتجته غانا بصفة رئيسية، ثم استولت عليه مالي واستغلته بشكل أقفل أهمية، ثم احتوته مملكة السونغاي عن طريق تجاري يصعب تحديد نطاقه،

---

[1]- محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 117.

[2]- المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 324.

[3]- حسن الوزان، المرجع السابق، ج2، ص 280.

[4]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 48.

[5]- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان المغربي، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة-الكويت، د.س، ص 448.

[6]- المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 328.

ولكنه كان يصل إلى مدتها التجارية وتنقله القوافل باتجاه مصر وشمال غرب إفريقيا، وكان الملح يستبدل مقايضة بالذهب أو مقابل الودع وأنياب العاج وأدت المدن السودانية عن كل جمل منه مكوث الدخول إليها أو الخروج منها[1].

كما أن العملية التجارية التي تصفها كتب التاريخ القديم في الملح تتكون فيما يلي: "يأتي زنوج الجنوب حاملين معهم التبر الذي يضعونه على حافة الطريق بجانب أكوام من الملح كان قد حملها تجار الشمال ووضعوها هناك، ويقع التبادل بين الملح والذهب"[2].

وكانت عمليات مقايضة الذهب بالملح التي تتم قبائل السونتيك التي تقدم الملح وقبائل الوانجارا الفتي تقدم الذهب، وبقي غيبة التجار، تصلف القوارب التي تحمل الراغبين في الشراء، ويقومون بمعاينة أكوام الملح التي يتركها التجار، ويقدرون لكل كومة ما يقابلها من الذهب الذي يحضرونه في شكل تبر[3].

إذ يجب مقايضة الملح بالذهب والذهب بالملح، فقد كان الملح بمثابة عملة، و"بالملح يتصارف أهل السودان كما يتصارف بالذهب والفضة ويقطعونه قطعا ويتبايعونه". ولا غنى لأحد عنه في بلاد السودان حتى: "أن المسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا إداما ولا دينارا ولا درهما إنما يحمل قطع ملح"[4].

وبالرغم من قلة الذهب في أرض التكرور، إلا أن تجارها كانوا يحصلون على كميات كبيرة منه في أسواق غانا مقابل بضائعهم وعلى رأسها الملح المجلوب من أوليل[5].

4- الملح والرقيق:

في رشق إفريقيا وبازدهار تجارة الرقيق على يد العرب أولا ثم البرتغاليين، تراجعت كل أنواع التبادل التجاري التقليدي مع القبائل، وشرع تجار الرقيق في تنظيم الغزوات لصيد الرقيق مستعينين بوكلاء أفارقة، ثم حرضوا القبائل لتحترب ويشتروا ألأسرى، وكانت قبيلة الياو حول جزيرة نياسا

---

[1]- محمد الغربي، المرجع السابق،ص ص117 118

[2]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 55.

[3]- جوزيف جوان، المرجع السابق، ص ص 52-53.

[4]- ابتهال عادل إبراهيم، هشام سوادي هشام، المرجع السابق، د.ص.

[5]- سعود بن حمد الخثلان، دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (119م)، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، 1412هـ/1992م، ص 53.

مشهورة بنشاطها التجاري مع الساحل في التبغ وأدوات الزراعة وجلود الحيوانات ومن الفيل مقابل الملح والخرز، لكن ما أن زودها تجارة الرقيق بالأسلحة النارية وقايضوا رأس الرقيق بكميات أكبر من الملح والخرز[1].

وتاريخ هذه المنطقة من أروع صفحات التاريخ الإفريقي "الحزام الأوسط لإفريقيا"، كانت تمثل الرابطة الحضارية بين شمال القارة وجنوبها، منها تخرج القوافل التجارية من فاس ومراكش والقيروان تحمل الملح لغانا ومالي وتمبكتو وتعود محملة بالذهب والرقيق عبر ثلاثة طرق:

أولها: من مراكش حتى منحى النيجر.

ثانيها: من تونس حتى بحيرة تشاد ونهر النيجر.

ثالثها: من طرابلس الغرب ومصر إلى تشاد[2].

ومما يدل على قلة الملح وشدة الطلب عليه قبل اتساع التجارة عبر الصحراء ما ذكر من أن الواحد من الرقيق كان يباع مقابل لوح صغير من الملح لا يعدو في حجمه حجم رجله[3].

جـ- أسعار الملح: ابتداء من القرن الثامن عشر، وقد أكد لاتر أن سعر قطعة الملح الواحدة كان يساوي في عهده 8500 كوري أي ما يعادل مثقالا واحدا، ولاحظ هو نفسه أن الثمن كان قبل سنوات قليلة من ذلك لا يزيد عن 6000 كوري وأرجع ذلك إلى ارتفاع طرأ على سعر الذهب، وإذا علمنا أن حمولة جمل واحد من الملح لا تزيد عن أربعة ألواح كما ذكر لاتر فإن ثمن الملح قد انخفض في زمن ليون الإفريقي عشرون مرة[4].

وفيما يتعلق بالربح الذي يجنيه التاجر من مادة معينة، ذكر السائح بنهزره أن الكيل من الملح الجيد الذي يستخرج من ملاحة "أمدرور" في شمال الهقار، يباع مقايضة بستة أو ثمانية أكيال من الذرة في آير، ولكنت هذه النسبة ترتفع لتبلغ أربعين كيلا في دمرجو، وكذلك كان لوح الملح يساوي فرنكين في بيلما بالتشاد، بينما هو يباع بما يتراوح بين 10 و12 فرنك في زيندر

[1]- محمد إبراهيم نقد، علاقات الرق في المجتمع السوداني النشأة-السمات-الاضمحلال، ط2، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم-السودان، 2003م، ص 204.

[2]- عايدة العزب موسى، تجارة العبيد في إفريقيا، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2003م، ص 109.

[3]- سعود بن حمد الخثلان، المرجع السابق، ص 53.

[4]- محمد الغربي، المرجع السابق، ج1، ص 448.

بالنيجر[1]. مع العلم أن ابن حوقل يقول وربما بلغ حمل الملح في دواحل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين وثلاثمائة دينار[2].

فقد كان حمل الملح في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي يباع داخل السودان ما بين مائة إلى ثلاثمائة، وفي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي يساوي دينار، وفي عهد ابن بطوطة كان حمل الملح يباع في أبولاتن من ثمانية إلى عشر مثاقيل، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا، أما في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي فكان ثمن الملح في تمبكتو يساوي ثلاثة مثاقيل[3].

[1]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 51.

[2]- محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 130.

[3]- المبروك الهاديث الدالي، المرجع السابق، ص 329.

الخلاصة:

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أن الملح كانت السلعة التي يلتهف ويقبل عليها السودانيين؛ بشتى أنواعها، بالإضافة إلى أنه كان لها استعمالات كثيرة حيث كان البعض يستعملها للحفاظ على الجثث وتحنيط الموتى، وأيضاً للحفاظ على الأسماك واللحوم وغيرها وقد أفادت الدراسة أيضاً أن الملح يمثل سلعة بالغة الندرة للتجارة بين السودان الغربي، ولا تقل أهمية عن الذهب بالإضافة إلى أن الملح كان بمثابة عملة من حيث كانوا يقايضونه بالذهب والرقيق وحتى العبيد في بعض المناطق، وأشهر أماكنه نجد ملح تغازي وهي على مسيرة يومان من عن سجلماسة، ومنجم اوليل حيث كان يحمل الملح منه إلى المناطق السودانية وتودني التي كانت تعرف بمناجم الملح في الأقاليم الصحراوية، واستمرت أهمية تجارة الملح في حاجة الناس الاعتيادية إليها خاصة في مجال الطعام وغيرها، بالإضافة إلى أنها مادة أساسية يحتاج إليها الإنسان والحيوان وحتى النبات.

الفصل الثالث: مناجم الملح وخطط الممالك في السيطرة عليها

المبحث الأول: الممالك السودانية وعلاقتها بمناجم الملح

المبحث الثاني: محاولة الدول المغربية السيطرة على مناجم الملح

عرفت العلاقات السودانية المغربية تطور كبير وازدهاراً على مر العصور وفي شتى المجالات، بين شمال الصحراء وجنوبها خاصة في مجال التجارة، إلا أن هذه الروابط عكر صفوها لفترة من الزمن توتر سياسي بسبب الصراع على مناجم الملح في السودان الغربي، وانتهى بغزو المغرب للسودان وهذا ما سنركز عليه في هذا الفصل.

الممالك السودانية وعلاقاتها بمناجم الملح وأيضاً على محاولة الدول المغاربية في السيطرة على مناجم الملح.

المبحث الأول: الممالك السودانية وعلاقتها بمناجم الملح

(مملكة غانا – مالي– سنغاي)

1– مملكة غانا: حدد أبو عبد الله الشريف الإدريسي موقع مملكة غانا* لا ينطبق على أرض غانة الحالية ولكنه يمتد متوغلاً في الشمال حتى يشمل أراضي مالي بحيث حددها بالعبارات التالية:

"وأرض غانة تتصل من غربيها ببلاد مقزارة (ومقزارة هؤلاء هم أجداد التكرور ووُلوف)، ومن شرقيها ببلاد ونقارة، وبشماليها بأرض الصحراء المتصلة بين أراضي السودان وأرض البربر إلى الملمية وغيرها، ومن مدينة غانة إلى بلاد ونقارة ثمانية أيام[1]، وقد امتدت أطراف إمبراطورية غانة في منطقة واسعة بغرب إفريقيا فشملت الأراضي الممتدة من دولتي السنغال وجامبيا الحاليتين حتى الشواطئ الغربية لبحيرة تشاد على الحدود الشرقية لنيجيريا، كما امتد نفوذ الإمبراطورية من حدود الصحراء الكبرى شمالاً حتى منطقة خليج غينيا ناحية الجنوب[2].

أ) نظام الحكم في الإمبراطورية:

كان نظام الحكم السائد في غانا نظاماً ملكياً استبدادياً، شأنه شأن جميع النظم القائمة في باقي ممالك السودان الغربي والأوسط سواء أكانت في عهدها الوثني أو في عهدها الإسلامي.

*: غانا وهي دولة افريقا تقع على طول خليج غينيا والمحيط الاطلسي في المنطقة أنظر: سماعيل الغربي:الصحراء الكبرى وشواطئها، ص317

[1] - إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص ص317-319.

[2]- جوزيف جوان: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، لبنان، ص156.

والنظام المتبع في وراثة عرش الإمبراطورية الغانية، هو توريث ابن الأخت[1]، ويورد البكري شيئا عن ذلك حيث يقول: «وسنتهم أن الملك لا يكون إلا في ابن الأخت، لأنه لا يشك فيه انه ابن أخته، وهو يشك في ابنه، ولا يقطع على صحة اتصال به»[2] .

ب) التقسيم الإداري:

قسمت الإمبراطورية إلى ولايات أو ممالك، وكان لكل ولاية او مملكة حاكم يسير أمورها، ومن أشهر الولايات أودغست وأوكار، وهي نواة إمبراطورية غانا، إضافة إلى (هوذ) في الوسط وممالك عرب المغاربة في الشمال، وديار أوتا كانت وباسكيرو في الشرق وأوجادو، كانياجا، وبغن في الجنوب، والجنوب الشرقي.

كان نظام الحكم يقوم على أساس المركزية، إلا في المقاطعات، حيث ظل الحكم فيها وراثياً في أسر معينة[3].

وأرض غانا قد اشتهرت مع أرض نقارة المجاورة لها بالتبر الكثير الخالص الذي كان سببا في حركة واسعة من البربر في القرن العاشر ميلادي الرابع الهجري في اتجاه الجنوب بهدف السيطرة على مناجم الذهب أو على الأقل على الطرق التي ينقل فيها وطريق الملح[4].

وكان يمتد من مناطق وسط القارة حيث يعبر الصحراء الكبرى وكان هذا الطريق التجاري من الأهمية لدرجة أنه كان له ملك يحكمه يطلق عليه اسم (كايا ماغان) وكان من أغرب الطرق والممرات التجارية التي ظهرت في التاريخ القديم، وفي خارج الحدود الجنوبية للإمبراطورية كانت توجد منطقة كان يعيشها قبائل «الوانجارا» وكانت تزود الإنسات بالملح وتستورد هذه السلعة من خارج مناطقها[5].

وكانت صلات غانا التجارية مع العالم الخارجي من الأهمية ويرجع ذلك إلى توسط موقعها، فقد كانت تستغل رقعة الأرض التي تقع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل العربية عبر الصحراء

[1]- الهادي المبروك الدالى: المرجع السابق، ص31.

[2]- أبي عبيد البكري: المرجع السابق.ص175.

[3]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 32.

[4]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص281.

[5]- جوزيف جوان: المرجع السابق، ص51.

الكبرى التي امتدت بين سجلماسة في بلاد المغرب مارة بتغازي التي اشتهرت بمناجم الملح[1]، إذن فقد كان السبب في ازدهار هذه الدولة وبقائها لأكبر مدة ممكنة دون غيرها من تلك الدول الإفريقية التي كانت تلمع ثم تنطفئ.. أنها قامت على أسس اقتصادية سليمة، فقد وضعت يدها على شبكة على شبكة تجارية كبيرة وعرفت استخدام الحديد، والاستفادة منه، وعرفت كيف تتحكم في مصادر الملح وتصريفه إلى الجنوب، كما عرفت كيف تصدر الذهب من الجنوب إلى الشمال بالتحكم والتفاهم مع مستخرجي الذهب من بلاد الونغارا[2].

2- **مملكة مالي**: إن مؤسسي مملكة مالي هم "قبائل الماندجو" التي سادت لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، أي في الوديان العليا لنهر السنغال، وامتدت نحو الجنوب إلى حوالي خط عرض 59° شمالاً ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله[3]، وبحيث ظهرت مملكة مالي (الماندیج" في القرن الثالث عشر عقب سقوط إمبراطورية غانة في المنطقة الممتدة بين أعالي النيجر والسنغال، ودامت حتى القرن السابع عشر، وأصل هذه الدولة يحيط به العديد من الغموض، ولكن الاعتقاد السائد بين المتخصصين في تاريخ إفريقيا الغربية، هو أن هذه المملكة التي بدأت صغيرة قامت على أكتاف عدد رؤساء القبائل الإفريقية في المنطقة[4] وأصبحت إمبراطورية مالي مسيطرة على بطاح شاسعة في غرب إفريقيا وفرضت حكمها على مساحة من الأرض أكبر بكثير من المساحة التي سيطرت عليها إمبراطورية غانة[5].

أ-نظام الحكم في الإمبراطورية: كما كان نظام الحكم في مملكة مالي الإسلامية يتكون من محكمتين:

الأولى: المحكمة الملكية: يرأسها الملك وتختص في جرائم الخيانة العظمى.

---

[1]- أحمد مهدي رزق الله: حركة التجارة والإسلام في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1419هـ-1998م، ص165.

[2]- أحمد رزق الله: المرجع السابق، ص166.

[3]- أحمد مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص194.

[4]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص297.

[5]- نفسه: ص297.

الثانية: محكمة القاضي: ويتم تعيين القاضي من طرف الملك ويوكل إليها النظر في الجرائم العامة، والمنازعات بين الأهالي[1].

وقد اتخذت مملكة مالي الإسلامية منذ قيامها على عاتقها بناء قوة ضاربة في منطقة السودان الغربي يحسب حسابها، فاجتهد ملوكها منذ عهد سنياتا وإلى عهد السلطان منسا سليمان في تكوين جيش قوي بلغ عظمته في عهد السلطان منسا موسى[2]، واتساع رقعة مملكة مالي معناه الثروة والسمعة والازدهار الاقتصادي وحين مات الملك سونديانا كانت مساحة إمبراطورية مالي أكبر من المساحة التي تشغلها حاليا دولة مالي الحديثة... ثم قام ابنه الملك علي ULT الذي تولي عرش الإمبراطورية من بعده بفتح المزيد من الأراضي في كافة الاتجاهات، بحيث أنشأ طريق طويل يخترق القارة من الغرب إلى الشرق حيث يصل إلى سواحل البحر الأحمر؛ وبمجرد ما فتح أنشأ هذه الطريق، أصبح ذا أهمية بالغة للمبادلات التجارية وقد بين الأعمال التي تحسب في ميزانه البطولي، بهما معدن الذهب[3].

وفي عهد منسى موسى ازدهرت التجارة والأدب وبعد بناء السهلى المسجد الجديد قام بتشييد قصر الملك في هذه المدينة التي جذبت شهرتها بوصفها أكبر مدينة في العالم للتجارة في التبر، التجار من مختلف الأصقاع ولاسيما من سوس ودرعة وسجلماسة وفاس وتوات بل ومن مصر التي عززت فيها علاقتها التجارية بمالي[4]، بلغت البلاد في عنفوان مجدها وقوتها، باستيلاء قواته على حضارة جاو، وتنبكت التي تمثل عمقاً حضارياً متميزاً ووجه جيوشه صوب الجنوب مخترقاً الفيافي إلى "فوتاجالون" على حدود نيجيريا الحالية، وبعدها تحرك إلى مناجم الملح في منطقة تغازا، والنحاس في بلدة تكدا ووصلت سيطرته إلى المحيط الأطلسي[5]، ويمكن بشكل عام إرجاع عظمة مالي وازدهارها إلى العوامل التالية:

- اتساع الرقعة مع تنوع الخيرات.
- استتباب الأمن مع قوة السلطة وحيوية الإدارة.

---

[1]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص72.

[2]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص73.

[3]- جوزيف جوان: نفسه، ص71.

[4]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص305.

[5]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص63.

- السيطرة الفعلية على طرف التجارة ومناجم الملح.
- التطور الاجتماعي والعلمي والعمراني.
- الوحدة الدينية.
- نمو الصناعة إلى جانب التجارة[1].

3- **مملكة سنغاي:** تمتد مملكة سنغاي على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من الداهومي عند مدينة إندي إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا، وتعتبر آخر ممالك السودان الغربي التي ازدهرت في المناطق الواقعة مابين حوضي نهر السنغال ونهر النيجر وهي تشابه مملكتي غانا ومالي في استجابتها للإسلام ولمؤثرات الثقافة العربية الإسلامية الوافدة من الشمال الإفريقي والتي انتشرت انتشاراً واسعاً في تلك الجهات خلال قرون منذ أن توطد الإسلام في الشمال الإفريقي في القرن الثامن الميلادي[2]، وقامت إمبراطورية سنغاي في منطقة وسط نهر النيجر بغرب إفريقيا في القرن السابع الميلادي، وكانت تلك الدولة قوية اقتصادياً، وقد اعتمدت على المنتجات الزراعية وصيد الأسماك لهذا ارتبطت مجتمعاتها في بادئ الأمر بتقديس الأنهار، يقول المؤرخ باسيل دافيدسن Bassil Davidson إن اول ملك اعتنق الدين الإسلامي يسمى ضياء كوسوى (سنة 1009م)، وأن ذلك كان قبل قيام دولة المرابطين، ويقرر كذلك أن قدوم التجار والدعاة المسلمين إلى تلك الإمبراطورية قد سبق تلك الحقبة[3].

وبدأ ظهور هذه المملك في القرون الميلادية الأولى وعاصرت إمبراطورية غانة وإمبراطورية مالي، وانتهت غانة ومالي وبقيت سنغاي حتى عام 1594م[4]، وعاصمة إمبراطورية سنغاي هي جاو (Gao) التي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث يتصل ب هادي تلمسي (Tilmsi) الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء، وملكهم كوكو يظهر رعايته بالإسلام، وأكثرهم يظاهر به وله مدينة على النيل من شرقيه اسمها سرناة بها أسواق ومتاجر، ومملكة أعمر

---

[1]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص52.

[2]- عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998، ص301.

[3]- عثمان برايماباري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1421هـ-200م، ص44.

[4]- محمد فاضل علي باري: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، 2007م-1428هـ، ص110.

من مملكة زغاوة، وبلاد الزغاة أوسع، وأموال أهل بلدة الأموال والمواشي وبيوت أموال الملك واسعة وأكثرها الملح[1]، وأن أول من تملك دولة سنغاي هو "زا الأيمن" ومعناه جاء من اليمن وحسب الروايات أن قدومه إلى كوكيا تصادف من وقت كان يعاني فيه أهل سنغاي من جبروت حوت كبير كانوا يعبدونه ويهابونه، ليتمكن " زا الأيمن" من قتل الحوت ويصبح ملكاً على مملكة سنغا، وأول ملك مسلم من أسرة "زا" هو الملك "زاكوسي" Zakoussi ويقال له مسلم دان وؤرخ السعدي لواحد وثلاثين ملكاً من أسرة "زا"[2].

أ- دخول الإسلام إلى مملكة سنغاي:

بدأ الإسلام يتسرب بين صفوف شعب صنغاي في ظروف متشابهة لنفس الظروف التي تسرب فيها بين شعبي غانة ومالي وغيرهما من شعوب السودان الغربي، وليس ببعيد أن تكون هذه المناطق تلقب بعض المؤثرات الإسلامية عن طريق العلاقات التجارية التي نشأة بين بلاد المغرب الغربي أو عن طريق حركة القوافل المستمرة عبر الطريق الصحراوية أو عن طريق هجرات القائل الرعوية وتحركاتها سواءً أكانت قبائل عربية أو قبائل بربرية أو عن طريق الدعاة الذين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق[3].

ب- مراحل تكوينها:

- **المرحلة الأولى:** بدأت الهامة في تاريخ سنغاي خلال منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حين اعتنق ملوكها الإسلام، وبدأ يتسرب بين سكانها، وقد تم ذلك قبل مجيء المرابطين، وفي سنة 401هـ-1010م استولت على جاو بموازاة العرب المغاربة في كوكيا[4].
- **المرحلة الثانية:** بدأت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر في عهد سني علي وانتهت بمجيء الجيوش المغربية[5].

---

[1]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص ص317-319.

[2]- بودواية مبخوت: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2005-2006م.

[3]- محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص111.

[4]- الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص95.

[5]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص58.

- **المرحلة الثالثة:** وجه المنصور واحد من قواده ومعه مئتان من حملة الأسلحة النارية للاستيلاء على تغازي، ولكن الحملة لما وصلت إلى الحصن وجدت أن جميع سكانه من الزنوج قد جلوا عنه، فأدرك المغاربة أنه بدون العمال لا يمكن تشغيل المنجم وبذلك تخلى المنصور عن احتلال تغازي التي ظل منجمها مغلقاً وعانى سكان النيجر من جراء هذا التعطيل لانقطاع موارد الملح عنهم، وعلى الرغم من أن اكتشاف منجم الملح في تودينى فيما بعد فإن بلاد الصحراء ظلت تشكو مع ذلك من هذا النقص، حيث كان إنتاجه أقل من إنتاج تغازي[1].

وبالرغم من علاقة السنغاي بمناجم الملح وسيطرتهم عليها فقد نتج عن سيطرتهم تدهور قوة الدولة سياسياً وعسكرياً، وتبع ذلك قوة سيطرتهم على الأقاليم التي انضمت إليها في السابق، حيث تمكنت قبائل الهوسا في الجنوب من الاستقلال كما خرجت إمارة الهوسا عن السيطرة في الشمال وتمكنت الطوارق من استعادة مناجم تغازي.

[1]- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص329.

المبحث الثاني: محاولة الدول المغربية السيطرة على مناجم الملح

1- الدولة المرابطية:

ويطلق اسم المرابطين على الزعماء والقبائل الذين رحلوا من الصحراء الكبرى في القرن الحادي عشر،لقد تكونت دولة المرابطين على أيدي صنهاجة التي كونت حلفا من القبائل كان أبرزها جدالة – لمتونة – مسوقة – ولمطة، وكانت اقامتهم في البيد الممتدة من خط طربلس الغرب إلى المحيط الأطلسي على الشريط الجنوبي من الشمال الإفريقي عند حدود السودان وبلاد الزنج وكانوا يملكون القسم الشمالي الشرقي من السنغال وفي هذه الفترة كان هؤلاء الصحراويون أو على الأقل أولئك الذين كانوا يسكنون في منطقة السنغال والنيجر قد دخلوا الإسلام[1].

بعد قيام الدولة المرابطية، صعدت فروع كثيرة من صنهاجة الصحراء إلى المغرب الأقصى والأندلس،وبالنظر إلى اندماج صنهاجة في التجارة الصحراوية لم يكن هناك ما يدعوها لإلحاق الضرر بالتجارة أو بحدود مالي،بل على العكس من دلك نلاحظ تعاونا وثيقا بين صنهاجة والسودانيين على اعتبار ارتباط مصالحهما.ويتجسد هذا التعاون بينهما،في سماح حكام مالي لصنهاجة بالانتشار داخل بلاد السودان دون قيود .وهذا التساهل،هو الذي يفسر ذلك الانتشار الواسع لمسوفة خلال القرن الثامن الهجري (14م) في بلاد مالي،حيث تمركزوا في منطقة الحوض الاوسط نهر النيجر،بل أن عناصر منهم اتجهت إلى أعماق بلاد السودان،واستقرت في نياني عاصمة الامبراطورية [2].

ويمكن القول أن ظهور المرابطين كقوة جديدة في المغرب الأقصى قد ساعد على توفير،جو تجاري خال من الفوضى والاضطرابات،أدى إلى تنشيط الأعمال التجارية عبر طريق (سلجامة – غانة،كما أن مرور هذا الطريق بمنام الملح قد أعطاه أهمية تجارية كبيرة لكون الملح أهم سلعة كانت تحمل إلى بلاد السودان لندرته هناك[1]، وقد أشار وجود العامل الاقتصادي في حركة المرابطين كثير ممن كتب في هذا الموضوع – ولكنهم كانوا ينشدون أيضا المغانم التي قد تعود وراء هذا الغزو

[1]- عطية مخزوم الفيتوري :المرجع السابق ص112

[2]- أحمد الشكري: الاسلام والمجتمع السوداني، المرجع السابق ص188و189

وكانت مصادر الملح تحت سبطرتهم في ذلك الوقت..فسعوا إلىالسيطرة على مصادر النهب وكان قدومهم سريعا،وأدى إلى انهيار دولة غانا [2]، وفي أواخر القرن الثالث الهجري وتحديدا بين عامي (296- 297هـ/ 908- 909 م) نجح الفاطميون في القضاء على دولة الأغلبية ودولة الخوارج الصفرية بسلجماسة* والدولة الاباضية بتيهرت، مما أتاح لها الفرصة للسيطرة والتحكم في طرق التجارة الصحراوية، وبذلك احتكروا الوارد والصادر مع بلاد السودان الغربي[1].

3-الدولة السعدية:

تقول المصادر أن "السعديون"من أسرة عربية وفدوا من ينبع بالحجاز إلى درعة بجنوب المغرب،والاعتقاد السائد أنهم من الأشراف، ويسمون أيضا بالزيدانيين نسبة لجدهم زيدان بن أحمد،وأقاموا دولتهم السعدية منذ القرن16م على أساس الجهاد[2]؛ وقد بدأ اهتمام السعديين بالسودان منذ عهد القائم بأمر الله، غير أنه في الحقيقة لم يهتم بها بطريقة رسمية الا أحمد المنصور الذي تدخل في عام 1526م وكاتب أسكيا اسحاق الأول في أمر تسليم معادن تغارة وفي عام 1544م محمد الشيخ سلطان المغرب إلى اسحاق أيضا بشأن التنازل عن المعدن، فكان الرفض من نصيبه هو الآخر،وأكثر من هذا أرسل الملك السوداني الفين من الطوارق وأمرهم أن يغيروا على المغرب، وكان رد الفعل المغربي ارسال حملة عسكرية عام 1557م قوامها حوالي ألف وثمانمئة فارسا للغارة على تغازة فتم قتل حاكمها وعدد كبير من الطوارق الذين أمسكوا بهم حاملين الملح على جمالهم .[3]

واصل السلطان سياسته السودانية حيث تختلط الانتظارية بالمصالح السياسية؛ ولعله طلب من الأسكيا مجدداً أن يتنازل له نهائيا عن المنجم الصحراوي،كان يريد في مقابل كل حمولة الملح ما يساوي قطعة دهب. وأمام رفض حاكم السودان قرر السلطان تخطي الحاجز وارسال حملة عسكرية مكونة200 فارس أستولت على المنجم في أكتوبر 1586م، وبعد الاستيلاء على

*سلجماسة: تقع في الحدود الجنوبية الشرقية للملكة المغربية وقد بناها جماعة من الصفرية سنة 140هـ/857م عرفت دولتها بدولة بني واسول. انظر: المصدر السابق البكري، ص142

[1]-حسين سيد: الاسلام في افريقيا، وزارة الارشاد والأوقاف، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية – ليبيا، ص 383

[2]- غربي الحواس: ظروف الحملة المغربية السعدية على مملكى سنغاي 1591م، جامعة 08 ماي قالمة 1945.

[3]- عطية مخزوم الفيتوري:المرجع السابق ص31

المنجم أمر السلطان حصن لحمايته من غازات البدو ومن هجمات مضادة محتملة لقوات سنغاي[1].

وكانت عملية توسع أحمد منصور في السودان مرتبطة بعدم تمكنه من التوسع شرقا نظرا لوجود الجزائريين،وربما كان السبب في ذلك هو الاستيلاء على معدن الذهب أهم صادرات السودان وقد اهتم بجنوب المغرب حيث بدأ خلافه مع سنغاي حول واحة تغارة التي كان المغاربة يحصلون منها على الملح لكي يدعو للسودانيين ثمن الذهب. فجاء رد الاسكين مقاطعة ملح تغارة،واستغلال منجم أخر يبعد عن الأول بحوالي 150كلم إلى الجنوب عرف باسم تاوديني. وفي سنة 1589م كان أخر طلب لتسليم المصالح حيث وجه المنصور رسالة للأسكيا اسحاق الثاني،هذا الأخير أرفق صحبة جوابه جودة عسكرية وسلاسل يكبح بها العبيد.

[1]- محمد نبيل ملين: السلطان الشريف الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، د س ن، دص.

الخلاصة:

شكلت الدول المغاربية والوافدون من الشمال الإفريقي إلى بلاد السودان الغربي غرب إفريقيا عاملاً أساسياً في التعاون والتبادل الاقتصادي، مما أدى إلى توتر العلاقات بين الدول المغاربية وبلاد السودان، وذلك بسبب سيطرتهم على مناجم الملح.

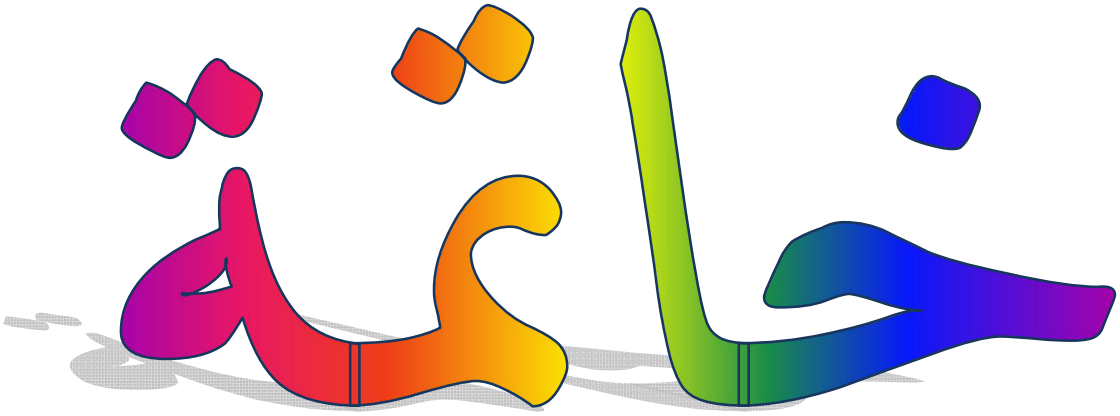
خاتمة

الخاتمة:

وختاما وما يمكن أن نخلص إليه أن الصحراء عرفت حركة تجارية مزدهرة الأمر الذي جعلها تحتل مكانة هامة بين الدول والبلدان حيث أصبحت همزة وصل بين بلد السودان الغربي ومن خلال دراستنا للموضوع توصلنا. إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- أن منطقة السودان الغربي تتميز بخصائصها الطبيعية حيث كانت تشهد خصوبة في الأراضي وتتميز بثروة حيوانية بالإضافة إلى المناخ الحار الرطب.
- لعبت المراكز التجارية(سجلماسة-غدامس-أودغست-توات) دورا مهما في العلاقات التجارية التي جمعت بين المغرب وبلاد السودان كأسواق للتجارة التي استقطبت المؤرخين، وتزود القوافل التجارية بالمؤن والمواد التجارية.
- بالإضافة إلى أن السلع السودانية لعبت دوراً رئيساً في التجارة في الصحراء الكبرى ويأتي الملح في مقدمتها، حيث تعتبر الملح أهم سلعة في تجارة الصحراء منذ فترة طويلة.
- ازدهار حركة تجارة الملح بين شمال الصحراء وجنوبها، حيث كانت قيمتها الشرائية مرتفعة جداً، فقد كان يباع بوزن ذهب أو بوزنيين أشهر المناطق التي ساهمت في إنتاج الملح ملاحات(تغازة- أوليل – تاودني)
- رغبة الممالك السودانية (غانا – صنغاي- مالي) في السيطرة على مناجم الملح مما ساهم دلك في تطورها وازدهارها
- تمكن الممالك المغاربية (المرابطية – السعدية) من استعادة مناجم الملح التي تمت السيطرة عليها من قبل الممالك السودانية.

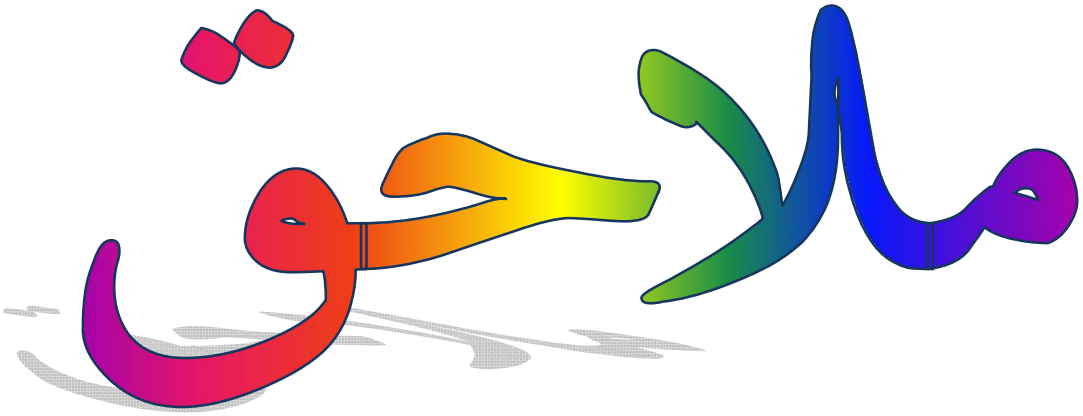
ملاحق

الملحق رقم 01: خريطة تمثل تحديد منطقة السودان الغربي[1]

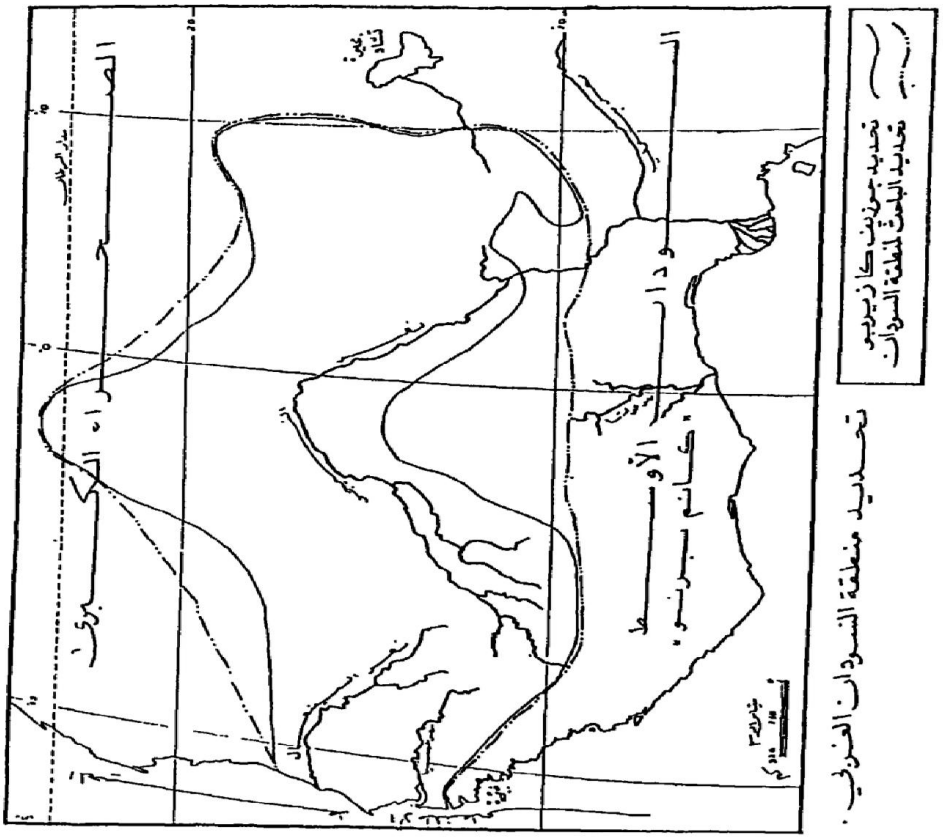

[1]– المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص359.

الملحق رقم 02: طرق القوافل بين بلاد السودان وشمال إفريقيا.[1]

[redacted]

216

[redacted]

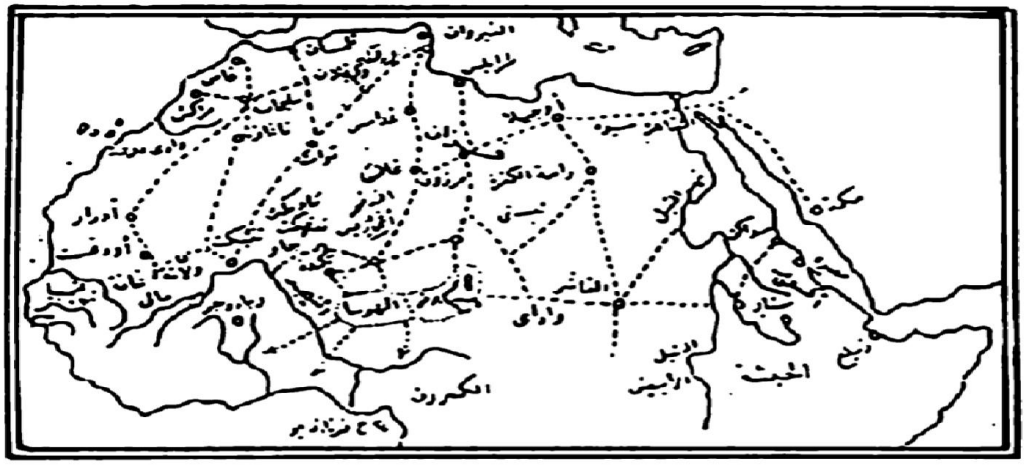

ملحق رقم (3)
طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالي أفريقيا
عن الهادي الدالي : مملكة مالي الإسلامية، ص 197.

217

[1]-عبد الله سالم محمد بازنية، مرجع يابق، ص217.

الملحق رقم 03: خريطة تمثل الممالك الإسلامية في السودانين الغربي والأوسط حسب القلقشندي القرن 15م.[1]

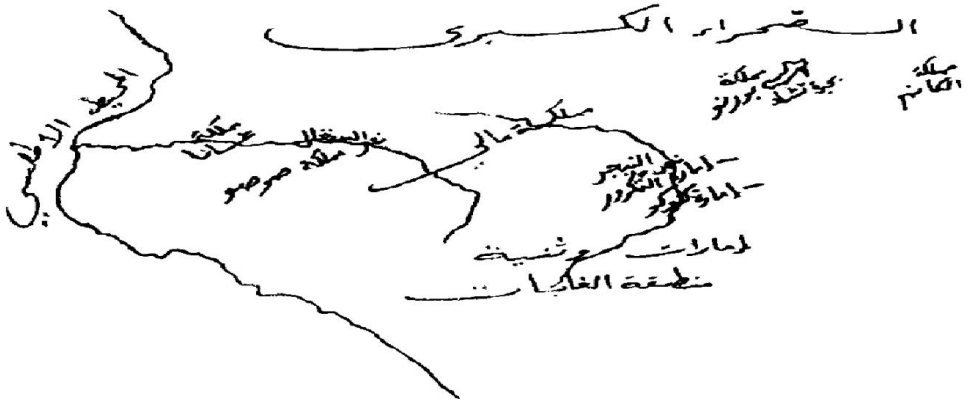

الممالك الإسلامية في السودانيين الغربي والأوسط حسب القلقشندي (القرن 15م)

261

[1]- عبد القادر زبادية، دراسة عن افريقيا جنوب الصحراء في مأثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 261.

الملحق رقم 04: خريطة توضح مالي والممالك التابعة لها [1]

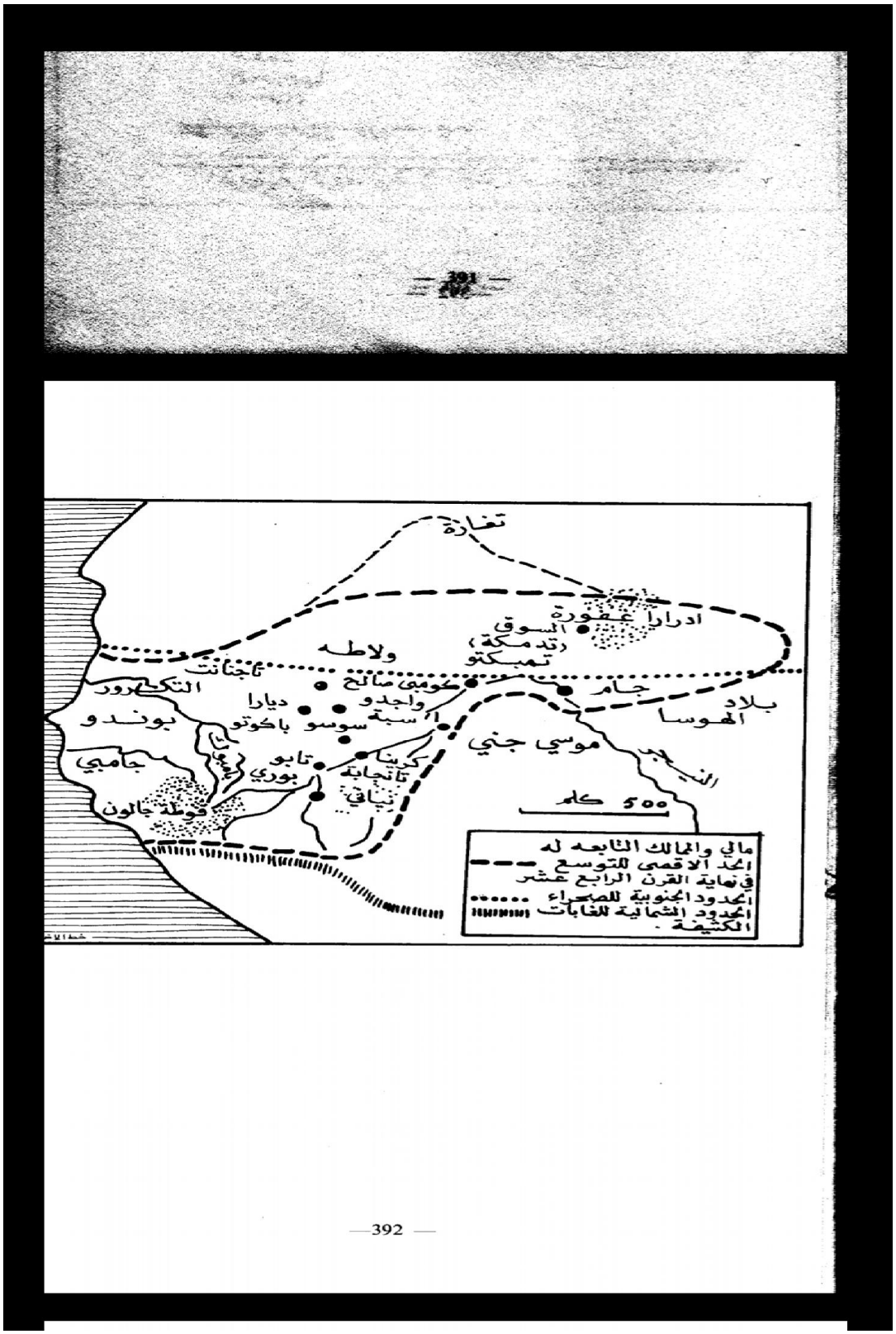

[1]- اسماغيل الغربي، مرجع سابق، 392.

الملحق رقم 05:خريطة السوادن الغربي [1]

[redacted]

[redacted]

- (no stamps are applied by registered version)

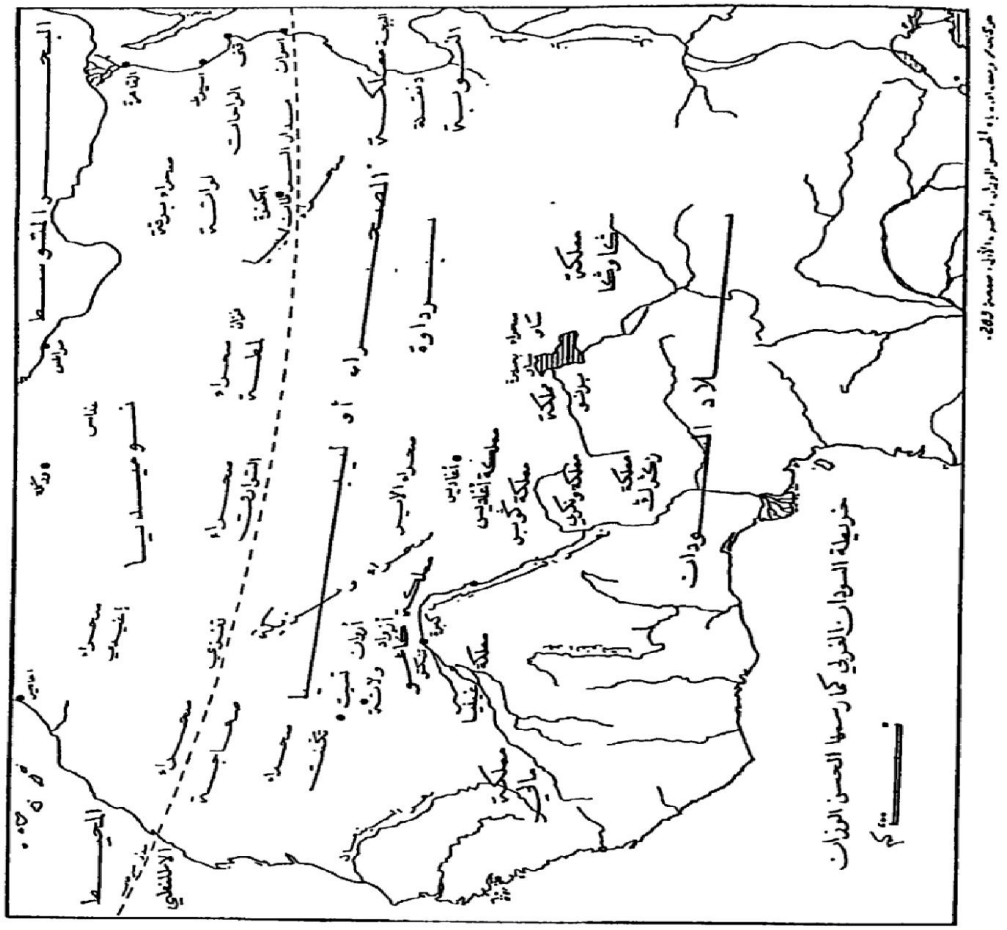

– 361 –

[1]- الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق،ص 361.

الملحق رقم 06: الطرق التجارية بين السودان الغربي وشمال إفريقيا[1]

[redacted]

– 361 –

[redacted]

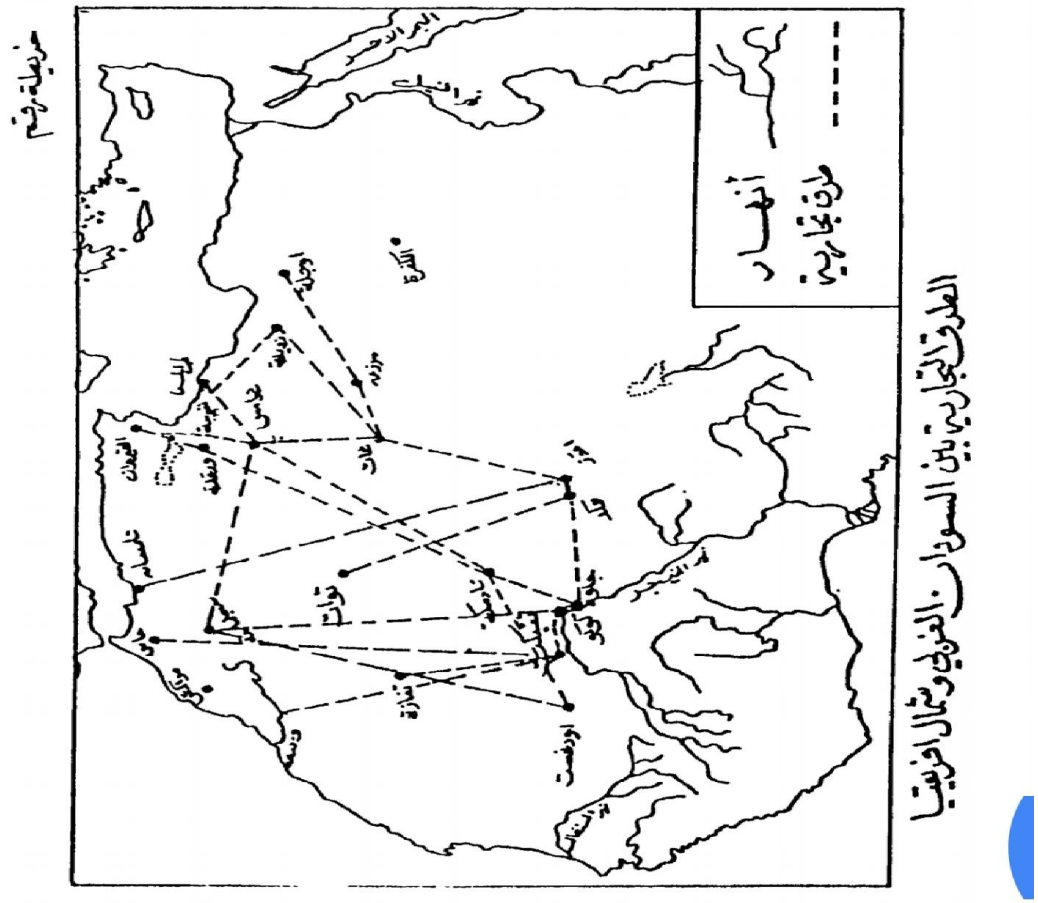

– 362 –

[redacted]

[1]- الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق،ص 362.

الملحق رقم 07: خريطة تتمثل دولة المرابطين[1]

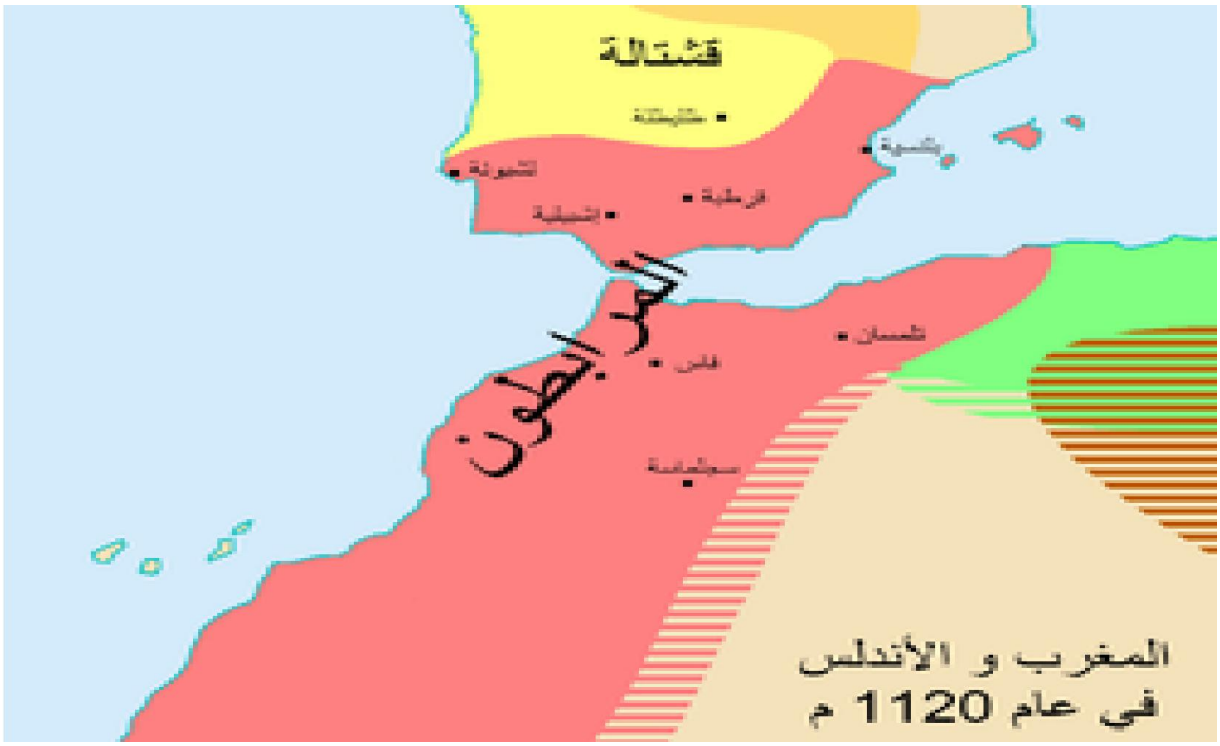

[1]- https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 2020/06/03 على الساعة 20:00

الملحق رقم 08: صورة تمثل عملية استخراج الذهب.[1]

الملحق رقم 09: صورة تمثل عملية استخراج الذهب[2]

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 2020/06/03 على الساعة 20:00
[2] - https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 2020/06/03 على الساعة 20:00

الملحق رقم 10: صورة لملح الطعام[1]

الملحق رقم 11: صورة تمثل مناجم الملح وكيفية استخراجه

[1]- https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 2020/06/03 على الساعة 20:00

الملحق رقم 12: صورة تمثل منجم ملح تاودني[1]

الملحق رقم 13: صورة تمثل رقيق السودان[2]

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ 2020/06/03 على الساعة 20:00
[2] https://www.abou-alhool.com/ بتاريخ 2020/06/03 على الساعة 20:00

قائمة المصادر والمراجع

1) المصادر:

1- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.

2- الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ج1 و2، تر: محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

3- ابن حوقل أبو القاسم: صورة الأرض، ط2، ج1، ليدن، دار الصادر، بيروت.

4- السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، تح: هوداس، المدرسة الباريزية، فرنسا، 1962.

5- القزويني زكرياء محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

6- كربخال مارمول: إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج1 و2، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984م.

2) المراجع:

1- إبراهيم محمد نقد: علاقات الرق في المجتمع السوداني –النشأة-السمات-الاضمحلال، ط2، دار عزة للنشر والتوزيع، 2003.

2- التونيسي محمد بن عمر: تشحيد الأدهان بسيرة بلاد المغرب والسودان، المؤسسة المصرية العامة والأنباء والنشر، القاهرة، 1965.

3- الشامي صلاح الدين: السودان، المعارف بالإسكندرية، القاهرة، 2002.

4- الشكري أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي)، ط1، المجتمع الثقافي 1430، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.

5- الغربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

6- الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاه، الكويت.

7- الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة الانتشار، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998.

8- المنجد صلاح الدين: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، ط2، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان، 1982.

9- بازينة عبد الله سالم: انتشار الإسلام في إفريقيا غرب الصحراء، ط1، منتدى سور الأزبكية، الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، 2010.

10- برايما بارى عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1421.

11- جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، لبنان.

12- حوالة يوسف بن أحمد: ابن حوقل ورحلاته الجغرافية، الجناح الغربي من الدولة الإسلامية، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1996.

13- حوتية محمد الصالح: توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

14- رزق الله: حركة التجارة والإسلام في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1419-1998.

15- شترة خير الدين: محمد عبد الكريم المغيلي: المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج1، دار ابن طفيل، 2011.

16- عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، شوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998.

17- علي باري محمد فاضل: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة: ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.

18- عبد اللطيف عصمت: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ السلسلة الجامعية)، دار الغرب الإسلامي.

19- محمد أحمد عبد الغفار: السودان بين العروبة والإفريقية، ط2، مركز البحوث العربية للدراسات والتوثيق والنشر، القاهرة، 1955.

20- محمد غرابية عبد الكريم: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديد والمعاصر، القاهرة، 1998.

21- مجموعة مؤلفين: السودان في مدونات رحالة الشرق والغرب، ط، دار السويدي للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2002.

22- موسى عايدة العزب: تجارة العبيد في إفريقيا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2003.

23- ولد الحسين النائي: صحراء الملثمين: دراسة في تاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيط الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية 5هـ/11م.

المجلات و المقالات:

1- أبو القاسم محمد المصطفى: مصطلح السودان في المصادر العربية والأجنبية، (مجلة الدراسات العليا، جامعة النيلين، مج: 4،14،28،62)، قسم التاريخ.

1- الحواس عربي: ظروف الحملة المغربية السعدية على مملكة سنغاي، 1945-1591، قالمة.

2- خالد الطاهر: مساهمة الحسن الوزان في التأريخ لبلاد السودان من خلال كتابه وصف إفريقيا، (المجلة التاريخية: 0023، 2572، ISSN)، جامعة الجزائر.

3- الختلان سعود محمد: دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين 3و5هـ/9و11م، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية، 1425هـ/1992م.

2- عادل إبتهال، هشام سوادي هاشم: من صور التواصل الاقتصادي لطرق الحج بين العرب والمسلمين وسكان إفريقيا، تجارة الملح نموذجاً.

4- فخار إبراهيم: حولية المؤرخ، مجلة دورية يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، دار الكرامة، للطباعة والنشر، 2005.

3- محمد الجهيمي محمد: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب بين القرنين 3و5هـ/9 و11م، جامعة عمر المختار، درنة.

5- محمد بن عمير: معدن أوليل واستغلاله خلال العصر الوسيط، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، ع09.

الرسائل الجامعية:

1- طيبي سهام: المعادن في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2016-2017.

2- مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2005-2006.

التقارير:

1- إدارة العلاقات الخارجية بالغرفة التجارية المصرية بالإسكندرية: جمهورية مالي، (تقرير عن دولة مالي).

المؤتمرات:

1- الاتحاد الدولي للمؤرخين: أعمال المؤتمر الدولي تحت عنوان العرب وإفريقيا، قراءات في العلاقات التاريخية والسياسية والاجتماعية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بغداد.

الفهارس

أولاً: فهرس الأعلام

ثانياً: فهرس الأماكن

ثالثا: فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام:

الاسم	الصفحة
أ	
أبي عبيد البكري	03
ابن بطوطة	13
أبو عبد الله الإدريسي	39
أحمد المنصور	48-49
أسكيا إسحاق	48
إسحاق بن الحسين	04
ابن خلدون	05
ز	
زاكوسي	36
س	
السعدي	36
منسا سليمان	33
سوندياتا	34
ع	
الملك علي	
م	
منسا موسى	32
محمد الشيح	40
هـ	
هادي تلمسي	34
يوسف بن تاشفين	09

فهرس الأماكن:

اسم المكان	الصفحة
أ	
أودغست	04
إفريقيا	28-27-24-17-03
أروان	35-33-23-18-10
إيولاتن	18-14-12-07
إثيوبيا	04
أولاد الحاج	11
انجيمير	11
أرسو	18
أوليل	30-27-24
أوكاي	31
أوبادو	31
ب	
بحر حيط	03
بوريم	08
بامبا	14-08
البربر	32-17-11
بودة	11
بوركينافسو	04
بوفادي	11
بغداد	14
ت	

التكرور	31-27-24-05-04
تشاد	28-04
تنبكتو	29-28-23-18-14-11-9-8-07
تلمسان	09-08
تاودني	40-37-30-24-23-18
تندوف	14-09-08
توات	34-15-14-13-11
تالوين	09
تادمايت	15
تانزروفت	11
تغازي	08
تسفاوت	13
تيديكلت	11
تامست	13
تمنطيط	11
ج	
جبال أورور	06
الجزائر	12
جزيرة نقارة	18
جني	07
جاو	36-35-08
ح	
الحبشة	04
خ	

خط الاستواء	05-04
د	
درعة	34-09
ديورة	14
ر	
الرأس الأخضر	05
رقان	11
ز	
الزنج	05-01
زاغري	04
س	
السودان	-21-14-09-07-06-03-02- -33-31-30-29-27-24-23 47-39-38
سجلماسة	-32-30-24-18-14-11-09 39-34
السنغال	33-24-06-05-04-03
السافانا	05
سنغاي	45-40-37-36-35-07
ص	
الصحراء الكبرى	-32-31-24-20-18-08-07 46-38
صنهاجة	47-38-18-11
الصحراء	38-35-31-18-07-06
ط	

طالطا	09
طرابلس	10
ع	
عين صالح	14-08
غ	
غانا	39-35-31-18-14-10-07
غامبيا	04
غاو	10-08
غدامس	24-18-12
غينيا	31
ف	
فنوغيل	13
فاس	34-28-17-14
فزان	15-14
ق	
قلعة بني حماد	14-09
القيروان	14
قسنطينة	12
ك	
كاو	04
كازبار	8
كوغة	18-11
كوكيا	35-14
كوكو	05

كابا	14
ل	
ليبيا	22-04
م	
المغرب	24-18-17-04-02
المحيط الأطلسي	38-34-33-24-04
مراكش	28-09-08
مالي	38-35-33-28-14-09-07
مصر	28-27-09
ن	
النوبة	05
النيل	03-02-01
النيجر	32-28-06-05-04
نوميديا	17
نقارة	32-30
هـ	
الهند	06
و	
وهران	09
واد مسعود	16-13
ولاته	06
ورجلان	18-12
واد الساورة	13

فهرس الموضوعات:

شكر .....

اهداء .....

مقدمة: .....أ

إشكالية البحث: .....أ

الدوافع الذاتية: .....أ

الدوافع الموضوعية: .....ب

أهمية الدراسة: .....ب

الدراسات السابقة: .....ب

المنهج المتبع: ..... ج

خطة البحث: ..... ج

المصادر والمراجع المعتمد عليها: ..... ج

الفصل الأول : الإطار الجغرافي والمدن التجارية بالسودان الغربي

المبحث الثاني: المدن التجارية بالسودان الغربي 4

المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية والإطار الجغرافي للسودان الغربي 5

-1مفهوم بلاد السودان الغربي أو التكرور أو إفريقيا الغربية.....5

1/ المفهوم اللغوي:.....5

-2الحدود الجغرافية والفلكية للسودان: 8

-3التضاريس والمناخ: 9

المبحث الثاني: المدن التجارية بالسودان الغربي 10

المبحث الثالث: المدن المغاربية التجارية وعلاقتها ببلاد السودان الغربي 14

1/ المدن والمراكز التجارية المغاربية 14

2- القوافل التجارية والمسالك الصحراوية: 17

3/ أهم السلع المتبادلة: (الملح - الذهب - العبيد – التمر) 19

الخلاصة: 22

الفصل الثاني : مناجم الملح الصحراوية

المبحث الأول: الملح دراسة مفاهمية وتاريخية..... 23

المبحث الثاني: أهم الملاحات..... 23

المبحث الثالث: أهمية الملح في العملية التجارية 23

المبحث الأول: الملح دراسة مفاهمية..... 24

1) التعريف اللغوي والاصطلاحي للملح:..... 24

2) أنواع الملح: 25

المبحث الثاني: أهم الملاحات..... 26

المبحث الثالث: أهمية الملح في العملية التجارية 28

1) سلعة الملح:..... 28

2- الملح والذهب: 28

-4الملح والرقيق:..... 29

الخلاصة:..... 32

الفصل الثالث : مناجم الملح وخطط الممالك في السيطرة عليها

المبحث الأول: الممالك السودانية وعلاقتها بمناجم الملح 34

المبحث الثاني: محاولة الدول المغربية السيطرة على مناجم الملح..... 41

-1الدولة المرابطية:..... 41

3-الدولة السعدية: 42

الخلاصة:..... 44

الخاتمة:..... 46

الملاحق 48

قائمة المصادر والمراجع: 59

الفهارس

فهرس الأعلام: 64

فهرس الأماكن:..... 65

فهرس الموضوعات:..... 70

الملخص :

تعتبر السودان اليوم هو اكبر بلدان أفريقيا الذي يمتد عبر القارة من القرن الافريقي ، حيث يحده من الشرق بحيرة تشاد ومن الغرب المحيط الأطلنطي ومن الجنوب الصحراء الكبرى ألى شمال حوض السنغال من أهم المراكز التجارية بها "جني"، "قاو"، "تمبكتوا"، حيث أقامت بلاد السودان علاقة تجارية مع المدن المغاربية (سلجماسة، غدامس، اودغست) بالاضافة إلى "توات" التي كان لها دور مهم في العلاقات التجارية ومن أهم السلع المتبادلة الملح الذي يعتبر السلعة التي يقبل عليها السودانيين، وهو عنصر مهم في اعداد الطعام، ومن أشهر أماكن تواجده "توندني" و"تغازى" و"أوليل"، بحيث تعتبر قيمتها الشرائية مرتفعة جدا.

Abstract:

Sudan is today the largest country in Africa, which extends across the continent of the Horn of Africa, where it is bordered to the east by Lake Chad and to the west by the Atlantic Ocean and to the south by the Sahara Desert to the north of the Senegal Basin. One of the most important commercial centers is "Genie", "Gao", "Timbuktua", Where the countries of Sudan established a commercial relationship with the Maghreb cities (Selgamasa, Ghadames, Oddest) in addition to "Twat", which had an important role in trade relations. One of the most important commodities exchanged is salt, which is considered a commodity for the Sudanese, which is an important element in preparing food, and from The most famous places of his presence are "Tondny", "Taghazi" and "Ulyl", so that its purchasing value is considered very high.